

الأزهر

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين

لمؤلفه

محمد الخضرى "بك"

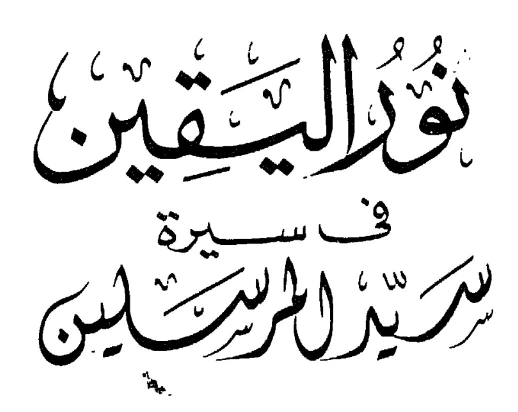
الجزء الرابع والأخير

إعداد

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - جمادى الآخرة ١٤١٢هـ



لمؤلفه

محمد الخضرى "بك"

الجزء الرابع والأخير

إعداد

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - جمادى الآخرة ١٤١٢هـ

وفود كعب بن زهير

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الأرض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التى يقول فيها:

وقال كل صديق كنت آمله :
لا أُلْهِيَنَّكَ إني عنك مشغول
فقلت : خلوا سبيلى ، لا أبالكُمُ
فكل ما قدَّرَ الرحمنُ مفعول
كل ابن أنثى ، وإن طالت سلامته
يوما على آلة حَدْبَاء مَحْمُول
أُنْبِئْتُ أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحا

إنّ الرسول لسيف يستضاء به
مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بُرْدَتَه .

(وأما) وحشيٌّ قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن إسلامه وقبله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد جاءه ابنا أبى لهب عتبةُ ومُعَتِّبٌ فأسلما ، وفرح بهما عليه الصلاة والسلام .

وكان من الذين أُخْتَفُوْا سُهَيْلُ بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال : إن سهيلا له عقل وشرف ، وما مثل سهيل يجهَلُ الإسلام ، فلما بلغت هذه المقالةُ سهيلاً قال : كان والله براً صغيراً براً كبيراً ، ثم أسلم بعد ذلك .

« بيعة النساء »

هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء ، وكن يبايعن على : ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول فى معروف .

(ثم) أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلالا أن يُؤَذِّنَ على ظهر الكعبة ، وهذا بدء ظهور الإسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليومَ عيداً يَحْمَدُون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم .

وأقامَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما يَقْصِر فيها الصلاة وولى عليها عَتَّابَ بن أَسِيد وجعل رزقه كل يوم درهما فكان عتَّاب ـ رضى الله عنه ـ يقول : لا أشبعَ الله بطنا جاع على درهم كل يوم .

هدم العزى

(وفى الخامس) من مقامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة أرسل خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ فى ثلاثين

فارسا لهدم هَيْكَلِ العُزَّى ـ وهي أكبر صنم لقريش ـ وكان هيكلَها بـ (بطن نخلة) فتوجه إليها خالد وهدمها .

هدم سُواعٍ

وأرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ لهدم سُواعٍ وهو أعظم صنم لهذيل ، وهيْكَلُه على ثلاثة أميال من مكة فذهب إليه وهدمه .

هدم مَناةَ

وبعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعدَ بن زيد الأشهليَّ ـ رضى الله عنه ـ فى عشرين فارساً لهدم مناة ـ وهي صنم لِكَلْب وخُزاعة ، وهيكلها بـ (المُشَلّل) ـ وهو جبل عَلى البحر يُهْبطُ منه إلى قُدَيْد فتوجهوا إليها وهدموها .

غزوة حُنَيْن

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الأوثان دانت للإسلام جموعُ العرب ، ودخلوا فيه أفواجا اما قبيلتا هوازنَ وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية ، واجتمع الأشراف منهم للشورى وقالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهِيَةَ له عنا فَلْنَغْزُهُ قبل أن يغزونا ؛ فأجمعوا أمرهم على ذلك ، وولوْا رياستهم مالكَ بن عوف النصرى ؛ فاجتمع له من القبائل

جموعٌ كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول اللهَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسترضعاً فيهم وكان في القوم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة المشهور بأَصالة الرأي وشدةِ البأس فى الحرب ولتقدم سنه لم يكن له فى هذه الحرب إلا الرأي .

ثم إن مالك بنَ عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذراريَهم وأموالهم . فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب ؟ فقال : سُقْتُ مع الناس أموالهم وذراريَهم ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه . فقال دريدٌ : وهل يرد المنهزم شيء ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت فى أهلك ومالِك فلم يقبل مالكٌ مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الإبل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين .

أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لما بلغه أن هوازن وثقيفاً يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير إليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز ، منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة ، وخرج أهل مكة رُكْبَاناً ومشاة حتى النساء يَمْشين من غير ضعف يَرْجُونَ الغنائم ، وخرج فى الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف ـ عليه الصلاة والسلام ـ الغزاة وعقد الألوية فأعطى لواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء الأوس لأُسَيْد بن حضير ـ رضوان الله عليهم ـ وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الأخرى ، ثم ركب ـ عليه الصلاة والسلام ـ بغلته ، ولبس

دِرعين والبَيْضَة والمِغْفَر . هذا وقد أُعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئا ؛ فإن مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستتراً فى شِعاب الوادى ومضايِقِهِ . وقابلهم بنبل كأنه الجراد فَلَوَوْا أعِنَة خَيْلهم متقهقرين ، ولما وصلوا إلى من قبلهم تَبِعُوهم فى الهزيمة لما لَحِقهم من الدهشة . أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فثبت على بغلته فى مَيْدان القتال ، وثبت معه قليل من المهاجرين والأنصار ، منهم : أبو بكر وعُمر وعلىّ والعباس وابنه الفضل . وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعةُ بنُ الحارث ومُعَتِّبُ بُن أبى لهب . وكان العباس آخذا بلجام البغلة ، وأبو سفيان آخذ بالركاب ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينادي : « إلَىَّ أيها الناس » ولا يلوي عليه أحد ، وضاقت بالمنهزمين الأرض بما رحبت ، أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالإسلام ، والذين لم ينزعوا عنهم رِبْقَةَ الشرك . فمنهم من فَرِح . ومنهم من ساءه هذا الإدبار . فقال : أبو سفيان ابن حرب :لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وقال أخ لصفوان ابن أمية : الآن بطل السحر ، فقال له صفوان ـ وهو على شركه :اسْكُتْ فَضَّ الله فاك ، والله لأن يَرُبَّنِى[1] رجل من قريش خير من أن يَرُبَّنِى رجل من هوازن . ومر عليه رجل من قريش وهو يقول : أَبْشِر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يُجْبِرونَّها أبدا . فغضِبُ صفوان ، وقال : وَيْلَكَ أتُبَشِّرنِى بظهور الأعراب .. ! ، وقال عِكرمة بن أبى جهل لذاك الرجل :

---

(١) يراسنى

كونهم لا يجبرونها أبدا ليس بيدك . الأمر بيد الله ، ليس إلى محمد منه شيء ، إن أُدِيل عليه اليوم ، فإن العاقبة له غداً . فقال سهيل بن عمرو : الله ، إّن عهدك بخلافه لحديْث ، فقال له : يا أبا يزيد ، إنا كنا على غير شيء ، وعقولنا ذاهبة تعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعضِ الفارين مكة .

كل هذا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقف مكانه يقول : أنا النبى لا كذب أنا ابن عبدِ المطلب ، ثم قال للعباس وكان جَهوريَّ الصوت : نادِ بالأنصار ياعباس ، فنادى : يامعشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان فَأَسْمَعَ من فى الوادي ، وصار الأنصار يقولون لبيك لبيك ، ويريد كلُّ واحد منهم أن يلوى عِنان بعيره فيمنعُه من ذلك كثرةُ الأعراب المنهزمين ؛ فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وتُرْسَه ، وينزلَ عن بعيره ، ويُخَلّى سبيله ويؤم الصوت .

حتى اجتمع حول رسول الله ـ صلىَ الله عليه وسلم ـ جمع عظيم منهم ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها ؛ فكَرَّ المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانتكث فَتْلُ(١) المشركين وتفرقوا فى كل وجه لا يَلْوُون على شيء من الأموال والنساء والذراري ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فأخذوا النساء والذراريَ وأَسَرُوا كثيراً من المحاربين ، وهرب من هرب ، وجرح فى هذا اليوم خالد بن

---

(١) إحكام صفوفهم

الوليد ـ رضى الله عنه ـ جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركى مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين .

هذا ، والذي حَصَل فى هذه الغزوة دَرْسٌ مهم من دروس الحرب ؛ فإن هذا الجيش دَخَلَهُ أخلاط كثير من مشركين وأعراب ، وحديثي عهد بإسلام ، وهؤلاء سيان عندهم نصرُ الإسلام وخِذْلانِه ؛ ولذلك بادروا ـ لأول صدمة ـ إلى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله ؛ فلا ينبغى أن يكون في الجيش إلا من يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ؛ ليكون مدافعا حقاً عن دينه فلا تميل نفسه إلى الفرار خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب .

ثم أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بجمع السبى والغنائم ، وكانت نحو أربعة وعشرين ألفَ بعير ، وأكثرَ من أربعين ألفَ شاة ، وأربعةَ آلاف أُوقِيَةٍ من الفِضَّة ؛ فجمع ذَلك كله بالجعرانة .

أما المشركون فتفرقوا ثلاث فِرقٍ : فرقة لحقت بـ (الطائف) ، وفرقة لحِقت بـ (نخلة) وفرقة عسكرت بـ (اوْطَاس)[1] .

سَــرِيــة

فأرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهذه الفرقة أبا عامرٍ الاشعريَّ فى جماعة منهم أبو موسى الأشعري ـ رضى اللهُ

(١) واد بديار هوازن

عنهما فسار إليهم وبدَّدَهُمْ وظفر بما بقىِ معهم من الغنائم ، وقد اسْتُشْهِد أبو عامرِ فى هذه الغزوة ، وخلَّفَ على الغزاة ابن أخيه أبا موسى فرجَعَ ظافراً منصوراً .

غـزوة الطـائف

وسار ـ عليه السلام ـ بمن معه إلى الطائف ليُجْهِزَ على بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن ، وجعل على مقدِّمته خالدَ بن الوليد ، ومر ـ عليه السلام ـ بِحِصْنٍ لعوْف ابن مالك النضرى فأمر بهدمه ، ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل إليه : أن اخْرُجْ ، وإلا حرقنا عليك بستانك . فامتنع الرجل ؛ فامر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحرقه ولما وصل المسلمون إلى الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به ، وأدخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريبَ الحِصن ، فرماهم المشركون بالنبل رميا شديداً حتى أُصيب منهم كثيرٌ بجراحات . منهم : عبد الله بن أبى بكر . وقد طاوله جرحه حتى أماته فى خلافة أبيه ، ومنهم أبو سفيان ابن حرب فقئت عينه،.وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين .

ولما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن ، وضُرِبَ لأم سلمَة وَزَيْنبَ قُبَّتَان هناك ؛ واستمر الحصار ثمانية عشر يوما ، كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالبِراز فلم يجبه أحد ، وناداه عبدُ ياليل عظيمُ ثقيف : لا ينزل إليك منا أحد ، ولكن نُقِيم فى حصننا فإن فيه من الطعام ما يَكْفينا سنين فإن أقمتَ حتى يَفْنى هذا الطعامُ خرجْنا إليكِ بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ، فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن ينصب

عليهم المنجنيق فنصِب ودخل جمع من الأصحاب تحت دَبَابَتَيْنِ[1] لينقُبُوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماةً بالنار حتى أرجعوهم فأمر عليه الصلاة والسلام أن تقطع أعنابُهُمْ ونخيلُهم ، فقطع المسلمون فيها قطعا ذريعا فناداه أهل الحصن : أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادي : بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن ، فخرج إليه بضعة عشر رجلاً .

ولما رأى عليه الصلاة والسلام أن تَمَنُّعَ ثقيف شديد ، وأن الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفلَ بن معاوية الدِّيليَّ - رضى الله عنه - فى الذهاب أو المقام ؟ فقال : يارسول الله ، ثعلب فى جحر ، إن أقمت أَخَذْتَه ، وإن تركته لم يضرك فأمر عليه الصلاة والسلام بالرحيل ، وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال : (اللهم اهد ثقيفاً وائْتِ بهم مسلمين) .

---

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

تقسيم السبى

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى (الجعرانة) حيث ترك السبي فأحصاه وخَمَّسَهُ وأعطى منه شيئاً كثيراً لأناس ضَعُفَ إسلامهم يتألفهم بذلك ، وأعطى أناسا لم يُسْلِمُوا لِيُحَبِّبَهُمْ فى الإسلام ، ومن الأولين : أبو سفيان أعطاه أربَعِين أوقية من الذهب ، ومائة من الإبل ؛ وكذلك ابناه : معاوية ويزيد ، فقال له : بأبى أنت وأمى لأنت كريم فى السِّلم والحرب ، ومنهم حكيم بن حِزام أعطاه كأبى سفيان ، فاستزاده فأعطاه مثلها ، ثم استزاده فأعطاه مثلها ، وقال : ياحكيم ، إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارَك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الأولى ، وترك ما عداها ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحدا بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا .

فكان الخلفاء ـ رضوان الله عليهم ـ بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَعْرِضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه ، وأعطى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عيينة بن حصن ـ رضى الله عنه ـ مائة من الإبل ، وكذلك الأقرعَ بن حابس والعباسَ بن مِرداس ـ رضى الله عنهما ـ وأعطى صفوان بن أمية شِعْباً مملوءاً نَعما وشاء كان رآه يرمُقُه ، فقال له : هل يعجبك هذا ؟ قال : نعم . قال : هو لك

فقال صفوان : ما طابت بمثل هذا نفس أحد ، وكان ذلك سبب إسلامه .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعَها على الدين القويم ، وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جُعِلَ من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم ، وقَدْ عَادَ ذلك بفائدة عظمي ؛ فإن كثيرين ممن أُعْطُوا فى هذا اليوم ولم يكونوا أُشْرِبُوا فى قلوبهم حُبَّ الإسلام صاروا بعد من أجِلاء المسلمين وأعظَمهم نفعاً ، كصفوان بنِ أمية ومعاوية بنِ أبى سفيان والحارث بنِ هشام وغيرهم .

ثم أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ زيد بن ثابت فأحصى ما بقي من الغنائم وقَسَمَهُ على الغزاة بعد أن اجتمع إليه الأعراب ، وصاروا يقولون له ـ عليه الصلاة والسلام : اقسم علينا ؛ حتى ألجؤوه إلى شجرة فَخَطَفَتْ رِدَاءه فقال ـ صلى الله عليه وسلم : رُدُّوا ردائى ـ أيها الناس ـ فو الله إن كان لى شجر تهامة نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كدوداً .

ثم قام إلى بعيره وأخذ وَبَرَةً[١] من سَنَامه وقال : أيها الناس ، والله ما لى من غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمسُ ، والخمس مردود عليكم فَأَدُّوا الخِياط والمِخْيَطَ ؛ فإن الغُلول[٢]

---

(١) شعرة .
(٢) الاختلاس من الغنيمة .

يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة . فصار كل من اخذ شيئاً من الغنائم خُلْسَة يرده ولو كان زهيداً .

ثم شرع يقسم فأصاب الراجلَ أربعة من الإبل وأربعون شاة ، والفارسَ ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فغضب ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى احمر وجهه ، وقال : ويحك من يعدِلُ إذا لم أعدل . فلم يؤده غضبه أن ينتقم لنفسه حاشاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ذلك ؛ بل لم يزد على أن نَصَحْ وحذَّر ، وقال له عمر وخالد بن الوليد : دعنا يارسول الله نضربْ عنقه .. ! فقال : لا ، لعله أن يكون يصلى ، فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه .. ! فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إنى لم أومر أن أُنَقِّب عن قلوب الناس ، ولا أشُقَّ عن بطونهم .

ولما أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وتَرَكَ الأنصار غضب بعضهم حتى قالوا : إن هذا لهو العَجَب ، يُعْطى قريشا ، ويتركنا وسيوفنا تَقْطُرُ من دمائهم ؛ فبلغه ذلك ؛ فأمر بجمعهم وليس معهم غيرُهم . فلما اجتمعوا قال : يامعشر الأنصار ، ما مقالةٌ بلغتنى عنكم .. ؟ ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بى ، وعالة[1] فأغناكم الله بى وأعْداءً فألف الله بين قلوبكم بى .. ؟ إن قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة ، وإنى أردت أن أَجْبَرَهُمْ وأتألفهم ، اغَضِبتم ـ يامعشر الأنصار ـ فى انفسكم

(١) جمع عائل وهو الفقير .

لشيء قليل من الدنيا أُلِّفْتُ به قوما ليُسْلموا ، ووكَلْتُكُم إلى إسلامكم الثابت الذي لا يزلزل ، ألا ترضون - يامعشر الأنصار - أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحلكم .. ؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار . فبكى القوم حتى اخْضَلَّتْ لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قِسْما وحَظًّا .

ثم انصرف - عليه الصلاة والسلام - وتفرقوا .

وفود هوازن

وبعد بضعَ عشرةَ ليلةً جاءه - عليه الصلاة والسلام - وَفْدُ هَوازِنَ يرأسهم زهير بن صُرَد وقالوا يارسول الله إن فيمن أصبتم الأمهاتِ والعماتِ والخالاتِ ، وهن مخازى الأقوام ، ونَرْغَبُ إلى الله وإليك يارسول الله . وقال زهير : إن فى الحظائر عماتِك وخالاتك وحواضِنَك اللاتى كن يَكْفُلْنَك ، ثم قال : أبياتا يستعطفه بها :

امْنُنْ علينا رسولَ الله فى كرم
فإنك المرءُ نرجوه وننتظرُ
امنن على نسوة قد كنت تَرْضِعُها
إذْ فوك مملوءةٌ من مَخْضِها الدُّررُ

إنا لنشكر للنعماء إن كُفِرَت[1]
وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
إنا نؤمل عفوا منك نَلْبَسُهُ
هدى البرية أن تعفو وتنتصرُ
فألْبِس العفو من قد كنت تَرضِعه
من أمهاتك إن العفو مشتهرُ

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن أحب الحديث إلى أصدقهُ فاختاروا إحدى الطائفتين : إما السَّبْيُ وإما المال ، وقد كنت انتظرتكم حتى ظننت أنكم لا تَقْدمُون . فقالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، ارْدُدْ علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا ولَانتَكَلَّمُ في شاة ولا بعير . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : أما مَالِي ولبني عبد المطلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا : نحن نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله بعد أن تُظْهِرُوا إسلامكم وتقولوا : نحن إخوانكم فى الدين ففعلوا فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه ـ رضوان الله عليهم : أما بعد ؛ فإن إخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أَرُدَّ عليهم سبيهم ، فمن أحب أن يَطِيبَ بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يُفِيءُ الله علينا فليفعل . فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ، وامتنع من ذلك جماعة من الأعراب كالأقرع بنِ حَابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس ، فأخذه

(١) أى إنِ كفر غيرنا النعمة فإنا نشكرها .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم قرضا ، وأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن تُحْبَسَ عائلة مالك بن عوف النضرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية . فقال له الوفد : أولئك ساداتُنا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إنما أريد بهم الخير . ثم سأل عن مالك فقالوا : هرب مع ثَقِيف . فقال : أخبروه أنه إن جاءنى مسلما ، رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خِفْية حتى أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجعرانة ، فأسلم ، وأحرز ماله وأهله ، واستعمله ـ عليه الصلاة والسلام ـ على من أسلم من هوازن .

(عمرة الجعرانة)

ثم إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتمر فأحرم من الجعرانة ، ودخل مكة بليل ، فطاف واستلم الحجر ، ثم رجع من ليلته ، وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، ثم أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالرحيل فصار الجيش آمنا مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة .

نتائج غزوة حنين :

وغزوة حنين هى التى فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته ، وأفقد سراة أهله ؛ فإن هوازن لم تترك وراءها رجلا تمكنه الحرب إلا ساقته ، ولم تترك لها بعيراً ولا شاة إلا

جاءت به معها فأراد الله إعزاز الإسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول : إن انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب ، فلم يبق فيهم إلا فئات قليلة يسوقهم الطيش إلى إشهار السلاح ، ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة .

(سرية)

ولما رجع ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة أرسل قيس ابن سعد ـ رضى الله عنه ـ فى أربعمائة ليدعوا صُدَاءَ (قبيلة تسكن اليمن) إلى الإسلام فجاء إلى رسول الله رجل منهم فقال : يارسول الله ، إنى جئتك وافداً عمن ورائى فاردد الجيش ، وأنا لك بقومى[1] فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ برد الجيش .

(وفود صداء)

وخرج الرجل إلى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفا على سعد ابن عبادة ـ رضى الله عنه ـ ثم بايعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإسلام ، وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا . ولما رجعوا فشا فيهم

---

(١) اى كفيل بقومى

الإسلام ، وقدم على رسول الله - ﷺ - منهم مائة فى حجة الوداع .

(سريـة)

ثم أرسل - على الصلاة والسلام - بشر بن سفيان العدوى - رضى الله عنه - إلى بنى كعب من خزاعة لأخذ صدقات أموالهم ، فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم ، فلما علم بذلك رسول الله - ﷺ - أرسل إليهم عيينة ابن حصن - رضى الله عنه - فى خمسين فارسا من الأعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا ، وتوجه بالكل إلى المدينة فأمر - عليه الصلاة والسلام - بجعلهم فى دار رملة بنت الحارث - رضى الله عنها .

(وفود تميم)

فجاء فى أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزِّبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم فجلسوا ينتظرون الرسول - ﷺ - فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف : يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ، فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين ، فخرج إليهم - عليه الصلاة والسلام - وقد تأذى من صياحهم ، وفيهم نزل فى أوائل سورة الحجرات : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ

أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ، ودخل النبى للصلاة ، فتعلقوا به يقولون : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك . فقال لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (ما بالشعر بُعثنا ولا بالفَخَار[2] أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الأهتم الزبرقان بن بدر فقال : إنه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته ، فقال الزبرقان : حسدنى يارسول الله لشرفى ، وقد علم أفضل مما قال .. فقال عمرو : إنه لزَمِرُ المروءة ضيق العطن لئيم الخال ؛ فرؤى الغضب فى وجه رسول الله ـ ﷺ ـ لاختلاف قَوْلَىْ عمرو ، فقال : يارسول الله لقد صدقت فى الأولى وما كذبت فى الثانية ، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : (إن من البيان لسحراً) ثم أسلم القوم فرد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليهم أسراهم ، وأحسن جائزتهم ، وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين .

(سـرية)

ثم بعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط لأخذ صدقات بنى المصطلق ، فلما علموا بقدومه خرج

---

(١) الحجرات ٤ ، ٥

(٢) المفاخرة بالخصال .

منهم عشرون رجلا متقلدين سلاحهم احتفالا بقدومه ، ومعهم إبل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة فى الجاهلية ، فرجع مسرعا إلى المدينة ، وأخبر الرسول - ﷺ - أن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فأرسل إليهم خالد بن الوليد - رضى الله عنه - لاكتشاف الخبر ، فسار إليهم فى عسكره خفية حتى إذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة فرجع وأخبر الرسول فأرسل - عليه الصلاة والسلام - لهم غير الوليد لأخذ الصدقات وفى الوليد نزل فى أوائل الحجرات : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[١] .

(سريـة)

ثم بلغ رسول الله - ﷺ - أن جمعاً من الحبشة رآهم أهل جُدَّةَ فى مراكبهم يريدون الإغارة عليها ، فأرسل لهم عَلْقَمَةَ بن مُجَزِّز - رضى الله عنه - فى ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ، ونزل فى المراكب ليدركهم ، وكان الأحباش متحصنين فى جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ، ولم يلق المسلمون كيداً فرجع عَلْقمة بمن معه ولما كان بالطريق آذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمى - رضى الله عنه - وكان فيه دعابة فأوقد لهم فى

---

(١) الحجرات ٦ .

الطريق ناراً ، وقال لهم : ألستم مأمورين بطاعتى ؟ قالوا : نعم . قال ـ عزمت عليكم إلا ماتواثبتم فى هذه النار ! فقال بعضهم : ما أسلمنا إلا فراراً من النار ، وهم بذلك بعضهم ، فمنعهم عبد الله ، وقال : كنت مازحا فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال : « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

(السنة التاسعة)

(سرية)

فى ربيع الأول أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى خمسين فارسا لهدم الفلس (صنم لطىء) فسار إليه وهدمه وأحرقه ، ولما حارب عُبَّاده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم ، وكان فيه سَفَّانة بنت حاتم طيِّء ، ولما رجع على إلى المدينة طلبت سفانة من رسول الله ـ ﷺ ـ أن يمن عليها فأجابها ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه ؛ كان من سننه أن يكرم الكرام ، فَدَعَتْ له ، وكان من دعائها : (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سَلَب نعمة كريم إلا وجعلك سببا لردها عليه) .

وكانت هذه المعاملة من رسول الله ـ ﷺ ـ سببا فى إسلام أخيها عدى بن حاتم الطائى ـ رضى الله عنه ـ الذى كان فر إلى الشام عندما رأى الرايات الإسلامية قاصدة بلاده . وكان من حديث مجيئه أن أخته ـ توجهت إليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين فى أمر هذا الرجل

فقالت : أرى أن تلحق به سريعا فإن يكن نبيا فللسابق إليه فضل ، وإن يكن ملكا فأنت أنت ـ فقال والله هذا هو الرأى .

(وفود عدى بن حاتم)

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : عليه الصلاة والسلام ـ من الرجل ؟ قال : عدى بن حاتم ، فأخذه إلى بيته وبينما هما يمشيان إذ لقيت رسول الله ـ ﷺ ـ امرأة عجوز ضعيفة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها . فقال عدى والله ما هو بملك ، ثم مضى رسول الله ـ ﷺ ـ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفا فقدمها إلى عدي ، وقال : اجلس على هذه ـ فقال : بل أنت تجلس عليها ، فامتنع ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأعطاها له وجلس هو على الأرض ، ثم قال : يا عدى أَسْلم تَسْلَم ـ قالها ثلاثا ـ فقال عدى : إنى على دين (وكان نصرانيا) فقال له ـ عليه الصلاة والسلام : أنا أعلم بدينك منك . فقال عدى : أأنت أعلم بدينى منى ؟ قال : نعم ، ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعا لقواعد العرب ، وليست من دين المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فى شىء كأخذه المرباع ، وهو : ربع الغنائم ، ثم قال : ياعدى ، إنما يمنعك من الدخول فى الدين ما ترى ، تقول : إنما اتبعه ضعفة الناس ، ومن لا قدرة لهم ، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه

ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف (الحيرة[1]) ؟ قال : لم أرها . وقد سمعت بها . قال : فوالله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم . فَأسْلَم عدى ـ رضى الله عنه ـ وعاش حتى رأى كل ذلك .

(غزوة تبوك)

بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه فى بلاده ، وكان ذلك فى زمن عُسْرة الناس ، وجدب البلاد ، وشدة الحر حين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتجهز ، وكان قلما يخرج فى غزوة إلا ورَّى بغيرها ليعمِّى الأخبار على العدو إلا فى هذه الغزوة ، فإنه أخبر بمقصده لبعد الشقة[2] وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك ، وبعث إلى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين ، فأنفق عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ اللهم ارض عن عثمان فإنى راض عنه ، وجاء أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ

---

(١) بلد بالعراق .

(٢) المسافة .

بكل ماله ، وهو أربعة آلاف درهم فقال ـ عليه الصلاة والسلام : هل أبقيت لأهلك شيئا ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ بمائة أوقية ، وجاء العباس وطلحة ـ رضى الله عنهما ـ بمال كثير ، وتصدق عاصم بن عدى ـ رضى الله عنه ـ بسبعين وسقا من تمر وأرسلت النساء ـ رضوان الله عليهن ـ بكل ما يقدرن عليه من حليهن ، وجاءه ـ عليه الصلاة والسلام ـ سبعة أنفس من فقهاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يطلبون إليه أن يحملهم فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً أن لا يجدوا ما ينفقون ، فجهز عثمان ثلاثة منهم ، وجهز العباس اثنين ، وجهز يامين بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ اثنين ، ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله ـ ﷺ ـ وهم ثلاثون ألفا ، وولى على المدينة محمد بن مسلمة ـ رضى الله عنه ـ وعلى أهله على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبى وقال : يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد ، يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب ، والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال ؛ واجتمع جماعة منهم فقالوا ـ فى حق رسول الله وأصحابه ـ ما يريدون من الإرجاف فبلغه ذلك فأرسل إليهم عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ يسألهم عما قالوا ، فقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وجاء إليهم جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج ، فقالوا : يارسول الله ، إئذن لنا

ولا تفتنا لأنا لا نأمن نساء بنى الأصفر ، وجاء إليه المعذورون من الأعراب ـ وهم أصحاب الأعذار من ضعف أو قلة ـ ليؤذن لهم فأذن لهم ، وكذلك استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم ، وقد عتب الله عليه في ذلك الإذن بقوله ـ في سورة براءة : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثم قال في حقهم :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ ثم كذبهم الله في عذرهم فقال :

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال ـ جل ذكره :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[1] .

وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في إسلامهم منهم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة ـ رضى الله عنهم ـ ولما خلّف ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليا قال المنافقون : قد استثقله فتركه ، فأسرع إلى رسول الله وشكا له ما سمع ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى) .

ثم سار ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالجيش ، وأعطى لواءه

---

(١) انظر سورة التوبة الآيات ٤٢ ـ ٤٧ .

الأعظم أبا بكر الصديق وفى إعطاء اللواء لأبى بكر فى آخر غزوة للرسول - ﷺ - وتخليف علىّ على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارىء ، وفرق - عليه الصلاة والسلام - الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين ، وأسيد بن خضير راية الأوس ، والحباب بن المنذر راية الخزرج - رضى الله عنهم - (ولمّا) مر الجيش بـ (الحِجْر) وهى ديار ثمود قال - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه : (لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله ، وكان مستعملا على حرس الجيش عباد بن بشر - رضى الله عنه - وكان أبو بكر يصلى بالجيش ، ولما وصلوا إلى تبوك وكانت أرضا لا عمارية فيها[1] قال الرسول - ﷺ - لمعاذ بن جبل - رضى الله عنه : (يوشك - إن طالت بك حياة - أن ترى ما هنا ملىء بساتين) وقد كان .

ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة ، وكان من خبر مجيئه أن دخل على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى بستان ، قد رشت كل منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيأت طعاماً ، وكان يوما شديد الحر ، فلما نظر ذلك قال : يكون رسول الله فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ؟ ما هذا بالنَّصَف ! .. ثم قال : والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله - ﷺ - فهيآ لى زاداً ففعلتا ، ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه ، وخرج يريد رسول الله - ﷺ - فصادفه حين نزل بتبوك .

---

(١) قاحلة .

(وفود صاحب أيلة)

هذا ولم ير ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك أياما جاءه فى أثنائها يوحنا صاحب أيلة ، وصحبته أهل جرباء[1] وأهل أذْرُحَ[2] وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على إعطاء الجزية ، ولم يُسلم ، وكتب له الرسول ـ ﷺ ـ كتابا هذه صورته .

(كتاب صاحب أيلةَ)

(بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر . فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحوز ماله دون نفسه[3] وإنه لَطِيَبَة[4] لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر) .

---

(١) قرية فى جنوب الشام .
(٢) مدينة تلقاء السراة .
(٣) أى فضلا عن نفسه .
(٤) أى بلا غدر ونقض عهد

(كتاب أهل أذرح وجرباء)

وكتب لأهل أذْرُحَ وجرباء كتابا صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين) .

وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم .

ثم إن الرسول ـ ﷺ ـ استشار أصحابه فى مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر : إن كنت أمرت بالسير فسر ـ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لو كنت أمرت بالسير لم أستشر . فقال : يارسول الله ، إن للروم جموعا كثيرة ، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك ، فلو رجعنا فى هذه السنة حتى نرى ، أو يحدث الله أمراً ، فتبع ـ عليه الصلاة والسلام ـ مشورته ، وأمر بالقفول[1] فرجع الجيش إلى المدينة .

(مسجد الضرار)

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار ، وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ، ليفرقوا جماعة المسلمين ، وجاء جماعة منهم إلى الرسول ـ ﷺ ـ طالبين منه أن يصلى لهم فيه ، فسألهم عن سبب

---

(١) الرجوع .

بنائه ؟ فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ، فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ جماعة من أصحابه لينطلقوا إليه ويهدموه ففعلوا .

هذا ، ولما استقر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ علانيتهم ، ووكل ضمائرهم إلى الله ـ عز وجل ـ واستغفر لهم .

(حديث الثلاثة الذين خلفوا)

وجاءه كعب بن مالك الخزرجى ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية الأوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب ، وقال : ما خلفك ؟ فقال : يارسول الله ، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أوتيت جدلا ، ولكنى ـ والله ـ لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ، أن يسخط على فيه ، ولئن حدثتك حديث صدق تغضب على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لى من عذر ! فقال ـ عليه الصلاة والسلام : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك . وقال صاحباه مثل قوله . فقال لهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما قال لكعب ، ونهى المسلمين عن كلامهم ، فاجتنبهم الناس ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم ، واستأذنت زوج هلال بن أمية ـ رضى الله عنها ـ فى خدمة زوجها ؛ لأنه شيخ ضائع ليس له خادم ، فأذن لها ، ولم يزالوا كذلك حتى

ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ؛ فأرسل لهم - عليه الصلاة والسلام - من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى ، فتلقاهم الناس أفواجا يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله - ﷺ - مسروراً فقال : أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك .. فقال : من عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . فقال كعب : يارسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة لله ولرسوله ..! فقال - عليه الصلاة والسلام : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . ثم قرأ - عليه الصلاة والسلام - الآيات التى فيها توبته هو وصاحباه فى سورة براءة :

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١) .

وفـود ثقيـف

وعقب مقدمة - عليه الصلاة والسلام - من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفى - رضى الله عنه - حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه ، ويدعوهم إلى الإسلام ، فقال له : إنهم قاتلوك ، فقال : يارسول الله أنا أَحَبُّ إليهم من

---

(١) التوبة ١١٨

أبكارهم ، فخرج إلى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم ؛ لأنه كان فيهم محببا مطاعا ، فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا منهم يكلمه ، وطلبوا من عبد ياليلَ بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى ، وقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة من أشرافهم ، فخرجوا متوجهين إلى المدينة ، ولما قابلوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرب لهم قبةً فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ، ويَرَوُا الناس إذا صَلُّوا ، وكانوا يغدون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل يوم ، ويُخَلِّفُون فى رحالهم أصغرهَم سنا (عثمانَ بن أبى العاص) فكان إذا رجعوا ذهب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستقرأه القرآن ، وإذا رآه نائما استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمَّر عليهم عثمانَ بن أبى العاص لما رآه من حرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلُّمِ الدين .

كتاب أهل الطائف

ثم كتب لهم كتابا من جملته :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين:أن عِضَاهَ[١] وَجٍّ وصيدَه حرام لا يُعْضَدُ[٢] شجره ،

---

(١) شجر الشوك

(٢) يقطع

ومن وُجِدَ يَفْعَلُ شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه » .

ثم سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الإسلام قلوب القوم ولا يرتاعَ السفهاء من النساء من هدمِه فرضى بذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم : انا أعلمكم بثقيف ، اكتموا عنهم إسلامكم ، وخوفوهم الحرب والقتال ، وأخبروهم أن محمداً طلب أموراً عظيمة أبيناها عليه : سألنا أن نهدم الطاغية ، وأن نترك الزنا ، وشرب الخمر ، والربا .

فلما حَلُّوا بلادهم جاءتهم ثقيف ، فقال الوفد : جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا أموراً شديدة . وذكروا ما تقدم ، فقالوا : والله لا نطيعه أبداً .

فقالوا لهم : أَصْلِحُوا سلاحكم ، ورُمُّوا حصونكم ، واستعدوا للقتال . فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ، ثم القى الله الرعب فى قلوبهم ؛ فقالوا : والله مالنا بِحَرْبِهِ من طاقة ارجعوا إليه وأعطوه ماسأل . فقال الوفد : قد قاضيناه وأسلمنا ، فقالوا : لم كتمتم علينا ذلك ؟ قالوا : حتى تذهبَ عنكم نَخْوَةُ الشيطان . فأسلموا .

هـــدم اللات

ولما بلغ رسول الله إسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللاتِ صنمِ ثقيف ـ بالطائف ـ فتوجهوا وهدموه حتى سَوَّوْه بالأرض .

حج أبى بكر

وفى أخريات ذي القعدة أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أبا بكر ليحج بالناس فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة ، ومعه الهدى : عشرون بدنة أهداها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وساق أبو بكر خمس بَدَنات ولما سافر نزل علىٰ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوائلُ (سورة براءة) فأرسل بها عليا ليبلغها الناس فى يوم الحج الأكبر ، وقال : لا يُبَلِّغُ عنى إلا رجل منى ، فلحق أبا بكر فى الطريق فقال الصديق : هل استعملك رسول الله على الحج ؟ قال : لا ، ولكن بعثني أقرأ ـ أو أتلُو ـ براءةَ على الناس ، فلما اجتمعوا بمنًى يوم النحر قرأ عليهم علىٌّ ثلاثَ عشْرة آية من أول سورة براءة تتضمن نَبْذَ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وإمهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها فى الأرض كيف شاءوا ، وإتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم إلى مدتهم ، ثم نادى : لا يَحُجُّ بعد العام مشرك ، لا يطوف بالبيت عُريان . وكان على يصلى فى هذا السفر وراء أبى بكر ـ رضى الله عنهما .

وفاة ابن أبيّ

وفى ذي القَعدة مات عبد الله بن أبيّ وقد صلى عليه رسولُ الله صلاةً لم يُطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره ، وإنما فعل ذلك تطييباً لقلب وَلَدِهِ عبد الله بن عبد الله ،

وتاليفاً لقلوب الخزرج ، لمكانة عبد الله بن أبي فيهم ، وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد نهى الله رسولَه بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين ، فقال ـ جل شأنه ـ فى سورة براءة : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[1] .

وفاة أم كلثوم

وفى هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوج عثمان رضى الله عنهما .

السنة العاشرة
(سرية)

فى ربيع الآخر أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ فى جمع لبني عبد المَدَان بـ (نجران) من أرض اليمن ، وأمره أن يدعَوهم إلى الإسلام ثلاث مرات ، فإن أَبَوْا قاتلهم . فلما قدم إليهم بعث الركبان فى كل وجه يدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أَسْلِموْا تَسْلَموُا.فأسلموا ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، فأقام خالدٌ بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن ، وكتب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك ، فأرسل إليه أن يَقْدُمَ بَوفْدِهم ،

---

(١) التوبة ـ ٨٤ .

ففعل ، وحين اجتمعوا به - صلى الله عليه وسلم - قال لهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم .. ! قال صدقتم ، وأمَّر عليهم زيدَ بن حُصَين - رضى الله عنهم أجميعين .

سـرية

(وفى) رمضان أرسل - عليه الصلاة والسلام - علياً - رضى الله عنه - فى جمع بنى مَذْحِجٍ (قبيلة يمانية) وعَمَّمَهُ بيده ، وقال : (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله ، فإن قالوا : نعم ، فمرهم بالصلاة ، ولا تَبغ منهم غير ذلك ، ولأن يَهْدِىِ اللهُ بك رجلا واحداً خير لك مما طَلَعَتْ عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى إليهم لقي جموعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا وَرَمَوْا المسلمين بالنبل ، فصف علىّ أصحابه ، وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم ، فكف عن طلبهم قليلاً ، ثم لحقهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا ، وبايعه رؤساؤهم ، وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافاه بمكة فى حجة الوداع .

بعث العمال على اليمن

ثم بعث ﷺ إلى اليمن عمالاً من قبله ، فبعث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - على الكورة[1] العليا من جهة عدن[2]

(١) جبل بمعلاة مكة

(٢) مساحة متسعة من الارض تساوى ما نسميه فى عصرنا (محافظة) او (مقاطعة)

وبعث أبا موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ على الكورة السفلى ، ووصاهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : (يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا) وقال لمعاذ :

إنك ستأتى قوما أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما أبو موسى فقدم على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حجة الوداع .

(حجة الوداع)

وفى السنة العاشرة حج ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالناس حجة ودع فيها المسلمين ، ولم يحج غيرها[1] ، وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة ، وولى على المدينة أبا دجانة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ وكان مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا ، وأحرم للحج

---

(١) أى منذ هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ، وإلا فقد كثر حجه قبل الرسالة وأثناء وجوده بمكة حجا خالف فيه أخطاء قريش فى حجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ .... الخطيب

حيث انبعثت به راحلته ، ثم لبى ـ عليه الصلاة والسلام فقال :

« لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ولم يزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية كداء ، ولما رأى البيت ، قال : « اللهم زده تشريفا وتعظيما ومهابة وبراً ، ثم طاف بالبيت سبعا ، واستلم الحجر الأسود ، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ثم شرب من ماء زمزم ، ثم سعى بين « الصفا » « والمروة » سبعا راكبا على راحلته ، وكان إذا صعد الصفا يقول : لا إله إلا الله ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

وفى الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى فبات بها .

(خطبة الوداع)

وفى التاسع منه توجه إلى « عرفة » ، وهناك خطب خطبته الشريفة التى بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم ـ عباد الله ـ بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب .

وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة ابن الحارث .

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة[1] والسقاية .

والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إن النسىء[2] زيادة فى الكفر يضل به الذين

---

(١) خدمة الكعبة

(٢) كانت العرب تستعمل فى حسابها الأشهر الهلالية وكانت الأعمال التى كلفوا بها من عهد إبراهيم وإسماعيل على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ كالحج وتحريم الأشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور ، ولما رأوا أن سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية ، إذ قد يجىء الحج فى فصل لا يناسبه وقد تحل الأشهر الحرم فى فصل لا يناسب تجارتهم فيه عمدوا إلى السنة الهلالية فأضافوا على آخرها أياما ، سموها أيام النسىء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتا فى الفصل الذى يناسبه ـ فى =

كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ـ الذى بين جمادى وشعبان .

ألا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن[1] وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا .

ألا هل بلغت اللهم اشهد .

= زعمهم ـ وكانوا يجمعون هذه الأيام حتى تستكمل شهرا فيضيفونها فنتج من ذلك أن بعض السنين تكون اثنى عشر شهرا وبعضها ثلاثة عشر فتارة يجىء الحج فى شهر ذى الحجة وتارة فى ذى القعدة ، وهكذا حتى يدور الدور فيأتى فى ذى الحجة ثانياً ، فلما كانت حجة الوداع أمر عليه الصلاة والسلام بإبطال هذه القاعدة ، كما أمره الله والسير على الأشهر الهلالية ، وكان الدور قد دار وجاء الحج فى شهره الثابت شرعا فى هذا العام ـ عام حجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولذلك قال (إن الزمان قد استدار الخ)

(١) العضل هو الحبس والتضييق

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده . كتاب الله .

الا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى .

الا هل بلغت اللهم اشهد ؛ فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا تجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث .

والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل[1] .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفى هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله ـ تعالى ـ فى سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[2] فلا غرابة أن اتخذه المسلمون عيداً ويوما سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى .

---

(١) الصرف : التوبة ، والعدل : الفدية

(٢) المائدة ـ ٣ .

ثم إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أدى مناسك الحج : من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف ، وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل إلى المدينة ولما رآها كبر ثلاثا ، وقال :

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . آيبون تائبون عابدون ساجدون . لربنا حامدون . صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

الوفـود

فى هذه السنة والتى قبلها كان وفود العرب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبايعوه على الإسلام ، وكانوا يقدمون أفواجا.وَلِمَاَ فى أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التى يحتاج ذو الأدب أن يعرفها رأينا أن نذكر لك منها ما يزيدك يقينا وينير بصيرتك فنقول :

وفـود نجـران

(ومن) الوفود وفد نصارى نجران ، وكانوا ستين راكبا دخلوا المسجد وعليهم ثياب الخبرة[1] وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يقبل البسط وقبل المسوح . ولما جاء وقت صلاتهم صلوا فى المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم ـ عليه الصلاة

---

(١) الحرير

والسلام ـ للإسلام ، فأبوا ، وقالوا : كنا مسلمين قبلكم . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : يمنعكم من الإسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ؟ وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولداً . قالوا : فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟ فأنزل الله فى ذلك فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١) وليظهر الله لهم أنهم فى شك من أمرهم أنزل : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٢) فدعاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لذلك فامتنعوا ، ورضوا بإعطاء الجزية ، وهى ألف حلة فى (صفر) وألف حلة فى (رجب) مع كل حلة أوقية من ذهب . ثم قالوا : أرسل معنا أمينا ، فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة .

وفود ضمام بن ثعلبة

ومن الوفود : ضمام بن ثعلبة.بينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه ـ رضى الله عليهم ـ متكئاً جاءه رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، فأناخ جمله فى المسجد ، ثم قال : أيكم ابن

---

(١) آل عمران ـ ٥٩ .

(٢) آل عمران ٦١ .

هذا ومن عجب أن وفد نجران الذين زاروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة ، قبل الهجرة ـ أسلموا .. الخطيب .

عبد المطلب ؟ فدلوه عليه فدنا منه ، وقال : إنى سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد[1] على فى نفسك . فقال : سل ما بدا لك .

فقال : أنشدك بالله ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : نعم .

فقال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى اليوم والليلة ..؟ قال : اللهم نعم .

فقال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا ؟ قال : اللهم نعم .

قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهراً ؟ قال : اللهم نعم .

قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فإنى قد آمنت وصدقت ، وأنا ضِمَامُ[2] بن ثعلبة .

ولما ولى قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقه الرجل . ثم ذهب ضمام إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام ، وترك عبادة الأوثان فأسلموا كلهم .

وفود عبد القيس

ومن الوفود : عبد القيس ، وكان من خبرهم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان جالسا بين أصحابه يوما فقال لهم : سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق ، لم

---

(١) أى لا تغضب (٢) ككتاب

يكرهوا على الإسلام ، قد انضوا[1] الركائب ، وأفنوا الزاد ، اللهم اغفر لعبد القيس ...! فلما أتوا ورأوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسلمون عليه ، وكان فيهم عبدالله بن عوف الأشج ، وكان أصغرهم سنا ، فتخلف عند الركائب حتى أناخها ، وجمع المتاع ، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ، ثم جاء يمشى هونا حتى سلم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان رجلا دميما ، ففطن لنظر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى دمامته . فقال : يارسول الله ، إنه لا يستقى فى مسوك[2] (جلود) الرجال ، وإنما الرجل بأصغريه : قلبه ولسانه فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة ، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولهذا الوفد : (مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا : يارسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة[3] ، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا فى شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل ...!

فقال : آمركم بالإيمان بالله ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم

---

(١) أهزلوها

(٢) جمع مسك وهو الجلد

(٣) لأن ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسى وهى ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز أرض نجد .

الخمس ، وأنهاكم عن الدباء[1] والحنتم[2] والنقير[3] والمزفت[4] والمراد بذلك ماينبذ فى هذه الأوانى .

فقال الأشج : يارسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه . وأشار إلى يده فأوما ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكفيه ، وقال : ياأشج إن رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه ـ وفرج بين يديه وبسطها ـ حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وإنما خص ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهيهم بما ذكر لكثرة الأشربة بينهم ـ رضى الله عنهم أجمعين .

وفود بنى حنيفة

ومن الوفود : بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب ، وكان مسيلمة يقول : إن جعل لى الأمرَ من بعده اتبعتَهُ فأقبل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعه قيس بن شماس ـ رضى الله عنه ـ وفي يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه ، فقال : إن سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، وإنى لأراك الذي منه رأيت ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد رأى في منامه أن فى

---

(١) القرع

(٢) هى جرار مدهونة بدهان أخضر

(٣) هو أصل النخلة ينقر

(٤) ما طلى بالزفت .

يده سوارين من ذهب ، فأهمه شأنهما فأوحى الله إليه أن انفخهما فنفخهما فطارا ، فأولهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمةُ أحدهما ، والثانى الأسودَ العنسى صاحب صنعاء ، وقد أسلم بنو حنيفة .

وفـــود طيـــىء

ومن الوفود : وفد طيىء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حقه: ماذكر لى رجل من العرب إلا رأيته دون ماقيل فيه إلا زيد الخيل ، وسماه عليه السلام زيدَ الخير ـ رضى الله عنه .

(وفـود كِنْدَة)

(ومنهم) وفد كِندة وفيهم الأشعث بن قيس ـ رضى الله عنه ـ وكان وجيها مطاعا فى قومه .

ولما دخلوا على رسول الله خبأوا له شيئا ، وقالوا : أخبرنا عما خَبَأْنَاهُ لك ؟ فقال : سبحان الله ، إنما يُفْعَلُ ذلك بالكاهن ، وإن الكاهن والمتكهن فى النار ، ثم قال : إن الله بعثنى بالحق ، وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فقالوا : أَسْمِعْنَا منه فتلا ـ عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا . إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ.رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾[1] ثم سكت وسكن ، ودموعه تجرى على

---

(١) الصافات ١ ـ ٥ .

لحيته ، فقالوا : إنا نراك تبكى ، أفمن مخافة من أرسلك تبكى ؟ قال : إن خشيتى منه أبكتنى ، بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف إن زُغْتُ عنه هلكت ، ثم تلا : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾[1] ثم قال لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى قال : ما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ فعند ذلك شقوه ، وألقوه ـ رضى الله عنهم ـ .

(وفود أَزْد شنوءة)

ومنهم وفد : أَزْدشنوءة ورئيسهم صُرَدُ بن عبد الله الأزدى فأسلموا ، وأمَّره عليهم ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك .

(وفود رسول ملوك حِمْيَر)

ومنهم وَفْد : رَسُول ملوك حمير ، وهم : الحارث بن عبد كلال والنعمان ومَعَافر وهَمْدان ، وكانوا قد أسلموا ـ رضى الله عنهم ـ وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب إليهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

---

(١) الإسراء ٨٦ ـ ٨٧ .

(كتاب ملوك حمير)

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد ، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا[1] من أرض الروم فلقيناه بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من الغنائم خمس الله ، وسهم النبى وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة .

أما بعد : فإن محمداً النبى أرسل إلى زرعة بن سيف ذى يزن .

إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل وعبد الله ابن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم[2] وأبلغوها رسلى ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً .

أما بعد : فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن كعب بن مرارة قد حدثنى أنك قد أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ، وآمرك

---

(١) وقت رجوعنا .

(٢) جمع مخلاف وهو الكورة كالمديرية والمحافظة .

بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو متولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وآمركم به خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وفود همدان)

ومنها وفد : همدان وفيهم مالك بن نمط ، وكان شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك ، عليهم مقطعات من الحبرات اليمنية ، والعمائم العدنية وقد أنشد مالك لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام :

حلفت برب الراقصات[1] إلى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد[2]
بأن رسول الله فينا مصدق
رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها
أشد على أعدائه من محمد

وقد أمَّره ـ عليه الصلاة والسلام ـ على من أسلم من قومه وقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حق همدان : نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى النصر ، وأصبرها على الجهد ، وفيهم أبدال وفيهم أوتاد ـ رضى الله عنهم .

---

(١) الإبل .
(٢) مكان

(وفـود تَجِيب)

ومنها وفد : تجيب قبيلة من (كِنْدة) وفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة عشر رجلا منهم ، معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم ، فسر بهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأكرم مثواهم . وقالوا : يارسول الله إنا سقنا إليك حق الله فى أموالنا . فقال عليه الصلاة والسلام : ردوها فاقسموها على فقرائكم ، فقالوا : يارسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، قال أبوبكر : يارسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن الهدى بيد الله ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان .

وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد ـ عليه الصلاة والسلام ـ رغبة فيهم ، ثم أرادوا الرجوع إلى أهليهم فقيل لهم : ما يعجلكم ؟ قالوا : نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا إياه وما رد علينا .

ثم جاءوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ، ثم قال لهم : هل بقى منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه فى رحالنا ، وهو أحدثنا سناً ، قال : فأرسلوه إلينا فأرسلوه فأقبل الغلام ، وقال : يارسول الله ، أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حاجتهم فاقض حاجتى . قال : وما حاجتك , قال : تسأل الله أن يغفر

لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ـ رضى الله عنه .

(وفـود ثعلبـة)

ومنها وفد : ثعلبة ، وفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعة منهم مقرين بالإسلام ، فسلموا عليه ، وقالوا : يارسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا ، ونحن مقرون بالإسلام ، وقد قيل لنا : إنك تقول : لا إسلام لمن لا هجرة له ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم » .

ثم قال لهم : كيف بلادكم ؟ فقالوا : مخصبون فقال : الحمد لله ، ثم أقاموا فى ضيافته أياما ، وحين إرادتهم الانصراف ، أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة ـ رضى الله عنهم .

(وفـود بنى سعد بن هُذَيْم)

ومنها وفد : بنى سعد بنى هذيم من قضاعة ، قال النعمان منهم : قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وافداً فى نفر من قومى ، وقد أوطأ رسول الله البلادَ وأزاح[1]

(١) أى استولى عليها .. عن الحلبية .. الخطيب .

العرب ، والناس صنفان : إما داخل فى الإسلام راعب فيه . وإما خائف السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه فوجدنا رسول الله يصلى على جنازة فى المسجد فقمنا خلفه ناحية ، ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم ، وقلنا : حتى يصلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونبايعه ، ثم انصرف رسول الله فنظر إلينا فدعا بنا ، فقال : ممن أنتم ؟ فقلنامن بنى سعد بن هذيم . فقال : أمسلمون أنتم ؟ قلنا : نعم ، فقال : هلا صليتم على أخيكم ..! قلنا : يارسول الله ، ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إينما أسلمتم فأنتم مسلمون .

قال : فأسلمنا وبايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرف ، إلى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى طلبنا فأتى بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإسلام ، فقلنا : يارسول الله ، إنه أصغرنا ، وإنه خادمنا . فقال : سيد القوم خادمهم ، بارك الله عليه .

قال النعمان : فكان خيرنا ، وأقرأنا للقرآن . لدعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ثم أجازهم وانصرفوا ـ رضى الله عنهم .

(وفــود بنى فـزارة)

ومنها وفد : بنى فزارة ، وفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جماعة منهم مقرين بالإسلام ، وهـم مسنتون[1]

---

(١) مجدبــون .

فسألهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن بلادهم .. ؟ فقال رجل منهم : يارسول الله أسنتت بلادنا ، وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا ، وجاعت عيالنا ، فادع لنا ربك يغثنا ، واشفع لنا إلى ربك وليشفع لنا ربك إليك . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : سبحان الله ، ويلك هذا ، أنا أشفع إلى ربى ، فمن ذا الذى يشفع ربنا إليه ...؟! لا إله إلا هو العلى العظيم ، وسع كرسيه السموات والأرض فهى تئط[1] من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث (أى من ثقل الحمل) .

ثم صعد ـ عليه الصلاة والسلام ـ المنبر ، ودعا الله ـ عز وجل ـ حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة ـ رضى الله عنهم .

(وفود بنى أسد)

ومنها وفد : بنى أسد ، وفيهم ضرار بن الأزور وطليحة بن عبد الله الذى ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا ، وقالوا : يارسول الله ، أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء[*] ، ولم تبعث إلينا فأنزل الله فى ذلك : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وسألوا رسول الله ـ ﷺ ـ عما كانوا يفعلون فى الجاهلية من العيافة[2] والكهانة[3] وضرب

---

(١) أى تصوت .　　　　* سنة شهباء : ذات قحط .

(٢) هى زجر الطير والتخرص على الغيب .

(٣) هى الإخبار عن الكائنات فى المستقبل .

الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ، ثم سألوه عن ضرب الرمل ؟ فقال : عُلِّمَهُ نبى . فمن صادف مثل علمه فذاك وإلا فلا .

ثم أقاموا أياما يتعلمون الفرائض وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجيزوا .

(وفود بنى عذرة)

ومنها وفد : بنى عذرة ووفد بنى بَلِيّ ، ووفد بنى مُرّة[1] ، ووفد خَوْلان وهى قبيلة باليمن ، وقد أمرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، وحسن الجوار لمن جاور ، وأن لا يظلموا أحداً فإن الظلم ظلمات يوم القيامة .

(وفود بنى مُحارب)

ومنها وفد : بنى مُحارِب ، وكانوا من الذين رَدُّوا الرَّدَّ القبيح ـ حينما كان رسولِ الله بعكاظ ـ يدعو القبائل إلى الله ـ تعالى ـ فما أعظم مِنَّةَ الله الذى أتى بهؤلاء ، وكانوا ألدَّ الأعداءِ مسلمين منقادين .

(وفود غسان)

ومنها وفد : غَسَّان ووفد سُلامان ، ووفد بنى عَبْس ، ووفد النَّخَع ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقابل هذه الوفود بما

---

(١) وفد إلى أرض مصر من بَلِيّ ومرة الكثير .. الكثير ... الخطيب .

جبله الله عليه من البشاشة وكرم الأخلاق ، ويجيزهم بما يُرضيهم ، ويعلمهم الإيمان والشرائع ، ليعلموا من وراءهم ، وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لإظهار الدين بين الأعراب فى البوادى .

(وفاة إبراهيم ابن النبى ـ عليه الصلاة والسلام)

وفى هذه السنة توفى إبراهيم ابن رسول الله ـ ﷺ ـ وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى أن ذلك كان فى التاسع والعشرين من شهر شوال سنة ١٠ من الهجرة (٢٧ يناير سنة ٦٣٢) من الميلاد .

(السنة الحادية عشرة)

(سرية)

لأربع بقين من صفر جهز ـ عليه الصلاة والسلام ـ جيشا برياسة أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ إلى (أبْنَى)[1] حيث قتل زيد بن حارثة والدُ أسامة ، وقال له : سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ؛ فقد وليتك هذا الجيش ، فَأَغِرْ صباحا على أهل (أبْنَى) وحَرِّق عليهم ، وأسرع السير لتَسْبِقَ الأخبار ، فإن ظَفَّرَك الله فَأقل اللبث فيهم ، وخُذِ الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك .

---

(١) محل قريب من مكة .

وكان مع أسامة فى هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار منهم : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد .

ثم عقد - عليه الصلاة والسلام - لأسامة اللواء ، وقال له : « اغز باسم الله فى سبيل الله وقاتل من كفر بالله » .

وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة ، وهو شاب ، لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين فأبلغ الرسول - ﷺ - هذه المقالة فغضب غضبا شديداً وخرج ، فقال :

أما بعد : أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة لقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله ، وايم الله إن كان لخليقا بالإمارة وأن ابنه من بعده خليق بها ، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ ، وأنهما لمظنة لكل خير ، فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم .

ولم يتم لهذا الجيش الخروج فى عهد المصطفى - ﷺ - لأن المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الأعلى وسيرى القارئ - إن شاء الله - خروج هذا الجيش متمما فى كتابنا (إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء) .

(مرض الرسول صلى الله عليه وسلم)

لما تمم - عليه الصلاة والسلام - ما كلف به ، وأدى ما أؤتمن عليه ، وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الأعلى ، فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال :

« إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما

عنده فاختار ما عنده » فبكى أبو بكر ، وقال : يارسول الله ، فديناك بآبائنا وأمهاتنا .. فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « إن أمنَّ الناس على فى صحبته وماله ابو بكر ، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن إخوة الإسلام ، لا يبقى فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر » .

وقد بدأه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرضه فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة فى بيت (ميمونة ـ رضىَ الله عنها) واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوما ، كان فى خلالها ينتقل إلى بيوت أزواجه ـ رضوان الله عليهن ـ ولما اشتد عليه المرض ، استأذن منهن أن يمرَّض فى بيت عائشة الصديقية فأذن له ، ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال : هريقوا علىَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس ، فأجلس فى مِخْضَبٍ[1] وصب عليه الماء حتى أشار بيده : أن قد فعلتن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التى كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه .

(صلاة أبى بكر بالناس)

ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فرضيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خليفة له فى حياته ، ولما رأت الأنصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، فخرج ـ

---

(١) المخضب : إناء كبير لغسل الثياب .

عليه الصلاة والسلام ـ متوكئا على عليّ والفضل ، وتقدم العباس أمامهم ، والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر ، وثار الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى قبلى فيمن بعث الله فأخلد فيكم ..؟! ألا إنى لاحق بربى وإنكم لاحقون بى ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله تعالى ـ يقول : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

وإن الأمور تجرى بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ؛ فإن الله ـ عز وجل ـ لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه .

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ . محمد ٢٢ .

وأوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم : أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم فى الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم فى الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم .

ألا ولا تستأثروا عليهم .

ألا وإنى فرط لكم ، وأنتم لاحقون بى ، ألا فإن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده علىَّ غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغى » .

وبينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول وأبو بكر يصلى بهم إذا برسول الله - ﷺ - قد كشف سَجْف[1] حجرة عائشة ، فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر - رضى الله عنه - على عقبه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله - ﷺ - فأشار إليهم بيده : أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر .

(وفاة رسول الله-صلى الله عليه وسلم)

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله - ﷺ - دنياه ولحق بمولاه ، وكان ذلك فى يوم الاثنين (١٣) ثالث عشر ربيع الأول سنة (١١) إحدى عشرة (٨ يونيو سنة ٦٣٢) . فيكون عمره - عليه الصلاة والسلام - (٦٣) ثلاثا وستين سنة قمرية كاملة ، وثلاثة أيام . وإحدى وستين شمسية وأربعة وثمانين يوما .

وكان أبو بكر غائبا (بالسنح) وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد ، فسل عمر سيفه ، وتوعد من يقول : مات رسول الله - ﷺ - وقال : إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم .

---

(١) الستر .

فلما أقبل أبو بكر ، وأخبر الخبر ، دخل بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكشف عن وجه رسول الله ـ ﷺ ـ فجثا يقبله ويبكى ، ويقول : توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يارسول الله ، ما أطيبك حيا وميتاً ، بأبى أنت وأمى ، لا يجمع الله عليك موتين .

ثم خرج ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .

وتلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . آل عمران ١٤٤ .

قال عمر : فكأنى لم أتل هذه الآية قط .

ثم مكث ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة عليهم فغسل ودفن ، وكان الذى يغسله على بن أبى طالب ، ويساعده العباس وابناه : الفضل وقثم ، وأسامة ابن زيد ، وشقران مولى رسول الله ـ ﷺ ـ وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره فى بيته ودخل الناس عليه أرسالا متتابعين ، يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ، ثم حفر له لحد فى حجرة عائشة حيث توفى ، وأنزله القبر : علىٌّ والعباس وولداه ؛ الفضل وقثم ، ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر . توفى رسول الله ـ ﷺ ـ وترك للمسلمين ما إن

اتبعوه لم يضرهم شيء : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وترك أصحابه البررة الكرام ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ يوضحون الدين ، ويتممون فتح البلاد ، ويظهرون فى الدنيا شمس الدين الإسلامى القويم حتى يتمم الله كلمته ، ويحق وعده . وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى ، والنعمة الكبرى .

(شمائله عليه الصلاة والسلام)

منح الله ـ سبحانه ـ نبينا ـ ﷺ ـ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ، ولابد أن نأتى لك فى هذا الباب[1] بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجا تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك ـ عليه الصلاة والسلام ـ فتستحق الحمد فى الدنيا والذخر * فى الأخرى فاعلم ـ أرشدنى الله وإياك ، وهدانا للصراط السوى ـ أن خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان : ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة[2] وضرورة الحياة ، ومكتسب دينى وهو : ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى :

فأما الضرورى فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل

---

(١) جل ما ذكر فى هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء للقاضى عياض ـ رحمه الله .

* العطاء العظيم .

(٢) الفطرة والطبيعة .

ماكان فى جبلته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والأعضاء ، واعتدال الحركات ، وشرف النسب ، وعزة القوم وكرم الأرض ، ويلحق به ماتدعو ضرورة الحياة إليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه .

أما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها ، وهى التى يجمعها حسن الخلق ، فإذا نظرت ـ رعاك الله ـ إلى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة ، وفى جبلة الخلقة وجدته ـ عليه الصلاة والسلام ـ حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها .

جمــــاله ـ ﷺ :

فأما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه فى حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه ﷺ ـ كان أزهر اللون(١) أدعج(٢) أنجل(٣) أشكل(٤) أهدب الأشفار(٥) أبلج(٦) أزج(٧) أقنى(٨) أفلج(٩) مدور الوجه

---

(١) نير اللون أو حسنه .
(٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها .
(٣) واسع العين مع حسن . (٤) فى بياض عينيه حمرة .
(٥) كثير شعر حروف الأجفان . (٦) مُضىء الوجهِ مُشْرِقُهُ .
(٧) دقيق الحاجبين فى طول .
(٨) مرتفع قصبة الأنف مع أحديداب يسير فيها .
(٩) مفرج بين الثنايا والرباعيات .

واسع الجبين ، كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر ، عظيم المنكبين[1] ضخم العظام ، عبل[2] العضدين والذراعين والأسافل ، رحب الكفين والقدمين . سائل الأطراف ، أنور المتجرد ، دقيق المسرُبة [3] . ربعة القد ، ليس بالطويل البائن [4] ولا القصير المتردد [5] ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله ـ ﷺ ـ رجل الشعر ، إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام ، إذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه : أحسن الناس عنقاً ، ليس بمطهم[6] ولا مكلثم [7] متماسك البدن ضرب اللحم .

قال البراء بن عازب ـ رضى الله عنه : مارأيت من ذي لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله ـ ﷺ ، وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله ـ ﷺ ـ كأن الشمس تجرى فى وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ فى الجدر .

وفى حديث ابن أبى هالة ـ رضى الله عنه ـ يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر .

---

(١) المنكب مجمع رأس العضد والكتف .
(٢) ضخم .
(٣) المسرُبة شعر دقيق من الصدر إلى البطن .
(٤) مفرط الطول .
(٥) المتناهى فى القصر .
(٦) المطهم : البائن الكثير اللحم .
(٧) المكلثم صغير الذقن .

وقال على - كرم الله وجهه - فى آخر وصفه له : من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله - ﷺ - .

نظافته. صلى الله عليه وسلم

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله - تعالى - فى ذلك بخصائص لم توجد فى غيره ، ثم تممها بنظافة الشرع . قال - عليه الصلاة والسلام - بنى الدين على النظافة .

وقال أنس - رضى الله عنه : ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله - ﷺ - وعن جابر - رضى الله عنه : أنه - عليه الصلاة والسلام - مسح خده قال : فوجدت ليده برداً وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار ، قال غيره : مسها بطيب ، أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها . ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها .

وروى البخارى - فى تاريخه الكبير - عن جابر : لم يكن النبى - ﷺ - يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

عقلـــه. صلى الله عليه وسلم

وأما وفور عقله - ﷺ - وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل

الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاد من العلم ، وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا قام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وبذلك فسر قوله ـ تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[1] .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء ، وكان يعد فى الثريا أحد عشر نجما ، وجاءت الأخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته ، وكان دعاه إلى الإسلام .

وقال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ـ ﷺ ـ فى مشيه كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وهو غير مكترث .

وفى صفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ضحكه كان تبسماً ، إذا التفت ، التفت معاً ، وإذا مشى مشى تقلعاً : كأنما ينحط من صبب .

فصاحته وبلاغته ـ عليه الصلاة والسلام :

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذى

---

(١) الشعراء ـ ٢١٩ .

لا يجهل سلاسة طبع ، وبراعة منزع وإيجاز مقطع ، وفصاحة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف .

وأوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب ؛ فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها . ويباريها في منزع بلاغتها . حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه ، وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد ، بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الألفاظ ، وما انتهجته من طرق البلاغة . ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون .

وأما كلامه المعتاد ، وفصاحته المعلومة ، وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين ، وجمعت فى ألفاظها ، ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة وبلاغة وكقوله : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس كأسنان المشط ، والمرء مع من أحب ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له ، والناس معادن ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، والمستشار مؤتمن ، ورحم الله عبداً قال (خيراً) فغنم أو سكت فسلم .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا يغنيه .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ، ونهيه عن قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات ، ووأد البنات ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ، وخير الأمور أوسطها .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً [1] ما . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض دعائه ، اللهم إنى أسألك رحمة تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها رغائبى ، وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها الفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء ، اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

إلى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره ، وحاز سبقاً لا يقدر قدره ، وقد قال له أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ : ما رأينا الذى هو أفصح منك . فقال : وما يمنعنى ، وإنما نزل القرآن

---

(١) أَحْبِبْ حبيبك .. الخبر ، قيل : إنه ليس حديثا .. الخطيب .

بلسانى ، لسان عربى مبين ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مرة أخرى : بيد[1] أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد .

جمع بذلك قوة عارضة البادية ، وجزلتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ، ورونق كلامها إلى التأييد الإلهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر .

وأما سرو نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، ولا بيان مشكل ولا خفى منه ؛ فإنه نخبة بنى هاشم ، ونخبة قريش وصميمها ، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ، وقد قدمنا لك فى أول الكتاب ما فيه الكفاية فى هذا المقام .

ما تدعو إليه الضرورة :

أما ما تدعو إليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل فى قلته ، ومنه ما الفضل فى كثرته ، ومنه ما تختلف الأحوال فيه : فالأول كالغذاء والنوم ، ولم تزل العرب والحكماء قديماً تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما ؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة . مسبب لمضار الدنيا والآخرة ، جالب لأدواء الجسد ، وخثارة [2] النفس ، وامتلاء الدماغ . وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة . مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن ، كما

---

(١) أى غير .

(٢) ضعف .

أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة . مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل وحض عليه قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب ، وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : لم يمتلىء جوف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شبعا قط ، وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ، إن أطعموه أكل ، وما أطعموه قبل ، وما سقوه شرب ، وفى صحيح الحديث : « أما أنا فلا آكل متكئاً » والاتكاء هو التمكن للأكل ، والتقعد فى الجلوس له كالمتربع ، وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته ، والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ، ويستكثر منه والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال إن عينى تنامان ولا ينام قلبى .

فضلـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأما الفضل فى كثرته فكالجاه ، وهو محمود عند العقلاء ـ عادة ـ وبقدر جاهه عظمه فى القلوب ، وقد قال ـ تعالى ـ فى صفة عيسى ـ عليه السـلام ـ : ﴿ وَجِيهًا فِى الـدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ ﴾[1] ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رزق الحشمة والمكانة فى القلوب ، والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ، ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاة فى نفسهم خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجته ، كما ذكرنا لك ذلك مراراً ، وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق[2] فقال : (يامسكينة عليك السكينة) ؛ وفى حديث أبى مسعود أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هون عليك فإنى لست بملك) .

عظيم قدره ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وأما عظيم قدره بالنبوة ، وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ، ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم .

فضلـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما تختلف فيه الأحوال :

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة ، لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكنه فى أغراضه وإلا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة

---

(١) آل عمران ـ ٤٥ .

(٢) الخوف .

وصاحبه منفقاً له فى مهماته ومهمات من قصده وأمله مصرفه فى مواضعه مشترياً به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب ، كان فضيلة فى صاحبه عند أهل الدنيا ، وإذا صرفه فى وجوه البر ، وأنفقه فى سبيل الخير ، وقصد بذلك الله ـ تعالى ـ والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال .

ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ، ولم يقف به على جدد [1] السلامة ؛ بل أوقعه فى وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة ؛ فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوصل به إلى غيره وتصريفه فى متصرفاته .

ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتى خزائن الأرض ، ومفاتيح البلاد ، وأحلت له الغنائم ، وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، ومادانى ذلك من الشام والعراق ، وجلب إليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ، وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشىء منه ولا أمسك منه درهماً ؛ بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين ، وقال : (ما يسرنى أن لى أحداً ذهبا يبيت عندى منه دينار إلا ديناراً أرصده لدينى) ، وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الآن استرحت ، ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله ، واقتصر فى نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته

---

(١) جمع جدة ، وهى الطريق .

إليه ، وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ، ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخصوصة بالذهب ، ويرفع لمن لم يحضره فأنت ترى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاز فضيلة المال بالزهد فيه ، وإنفاقه على مستحقيه .

حسن خلقه ـ صلى الله عليه وسلم :

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهى المسماة بـ (حسن الخلق) فجميعها قد كانت خلق نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الانتهاء فى كمالها والاعتدال فى غايتها حتى أثنى الله ـ تعالى ـ عليه بذلك فقال ـ سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] قالت عائشة ـ كان خلقه القرآن ، يرضى برضاه ويسخط بسخطه . وقال ـ عليه الصلاة والسلام : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقال أنس ـ رضى الله عنه : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحسن الناس خلقاً .

وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لإخوانه من الأنبياء جبلة[2] خلقوا عليها ، ثم يتمكن الأمر لهم ، وتترادف نفحات الله عليهم ، وتشرق أنوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ، ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة ، وهذه الأخلاق

---

(١) سورة القلم ٤ .
(٢) الخلقة .

المحمودة ، والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ، ونشير إلى جميعها ، ونحقق وصفه ـ عليه الصلاة والسلام بها ـ إن شاء الله .

فأصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها (العقل) الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ، ويتفرع عن هذا ثقوب[1] الرأى وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل ، وقد بلغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه . يعلم ذلك من تتبع مجارى أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه ، وعلمه بما فى التوراة والإنجيل والكتب المنزلة ، وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية ، وأيامها ، وضرب الأمثال وسياسات الأنام ، وتقرير الشرائع ، وتأصيل الآداب النفسية والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة ، وإشاراته حجة : كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم ، بل نبى أمى لا يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح الله صدره ، وأبان أمره وعلمه ، وبحسب عقله كانت معارفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى سائر ما علمه الله ، وأطلعه عليه من علم ما يكون . وما كان ، وعجائب قدرته وعظيم ملكوته

---

(١) نفوذه فى الأشياء .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾(١) .

حلمه وعفوه ـ صلى الله عليه وسلم :

وأما الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فمما أدب الله به نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٢) وقد سأل ـ عليه الصلاة والسلام ـ جبريل عن تأويلها ؛ فقال ـ عليه السلام : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقال له : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٣) وقال : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) وقال : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٥) وقد تضافرت الأخبار على اتصافه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنهاية هذه الأوصاف فما من حليم إلا عرفت منه زلة ، وحفظت عنه هفوة ، ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يزيد مع كثرة الإيذاء إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما ، قالت عائشة ـ رضى الله عنها : ما خير عليه الصلاة والسلام فى أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن

---

(١) النساء ـ ١١٣ .

(٢) الأعراف ـ ١٩٩ .

(٣) لقمان ـ ١٧ .

(٤) النور ـ ٢٢ .

(٥) الشورى ـ ٤٣ .

إثما ؛ فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله .

ولما فعل به المشركون ما فعلوا فى أُحُدٍ وطلب منه أن يدعو عليهم قال ـ عليه الصلاة والسلام : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون .

وحسبك فى هذا الباب ما فعله مع مشركى قريش الذين آذوه واستهزءوا به ، وأخرجوه من دياره هو وأصحابه ، ثم قاتلوه وحرضوا عليه غيرهم من مشركى العرب حتى تمالأ عليه جمعهم ، ثم لما فتح الله عليه مكة مازاد على أن عفا وصفح ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تقولون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

وعن أنس ـ رضى الله عنه : كنت مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابى بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ، ثم قال : يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك ، فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبى ـ عليه الصلاة والسلام : ثم قال : المال مال الله ، وأنا عبده . ثم قال : ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى . قال : لا ، قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة . فضحك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر .

قالت عائشة ـ رضى الله عنها : ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة

من محارم الله ـ تعالى ـ وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما ضرب خادما ولا امرأة . فصلى الله ـ تعالى ـ عليه ، وأقر عينه باتباع المسلمين سنته .

جوده وسماحته ـ صلى الله عليه وسلم :

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يُوازَى[1] فى هذه الأخلاق الكريمة ، ولا يبارى . وصفه بهذا كل من عرفه : قال جابر ـ رضى الله عنه : ما سئل ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن شيء فقال : لا . وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة . وقالت خديجة ـ رضى الله عنها : فى صفته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مخاطبة له : إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم .

وحسبك شاهداً فى هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبى إليها ، وما فعلته يوم تقسيم السبى من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية . وقد استوفينا ذلك فى موضعه .

وحمل إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ تسعون ألفا فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها .

وجاءه رجل فسأله فقال : ما عندى شيء ، ولكن ابتع علىَّ ؛

---

(١)لايُدْرَك .

فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر . ما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فكره ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال : له رجل من الأنصار : يارسول الله ، أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالا . فتبسم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعرف البشر فى وجهه . وقال : بهذا أمرت . والأخبار بجوده وكرمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كثيرة ، يكفى منها لتعليمك ما ذكرناه .

شجاعته ـ صلى الله عليه وسلم :

ومنها الشجاعة والنجدة فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ منهما بالمكان الذى لا يجهل . قد حضر المواقف الصعبة ، وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما من شجاع إلا أحصنيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه ، وحسبك ما فعله فى (حنين) و(أحد) مما ذكرناه مستوف .

وقال ابن عمر ـ رضى الله عنه : ما رايت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وقال علىٌ ـ رضى الله عنه : إنا كنا إذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا ، وقال أنس ـ رضى الله عنه : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشجع الناس ، وأحسن الناس ، وأجود الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت

فتلقاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ راجعا قد سبقهم إلى الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عُرْيٍ[1] ، والسيف فى عنقه ، وهو يقول : لن تراعوا .

حياؤه وإغضاؤه :

وأما الحياء والإغضاء ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء .

قال أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس .

قالت عائشة ـ رضى الله عنها : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا وكذا ، بل يقول : ما بال أقوام يصنعون ، أو يقولون كذا . ينهى عنه ، ولا يسمى فاعله .

وقالت ـ رضى الله عنها : لم يكن ـ عليه الصلاة والسلام ـ فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

حسن عشرته ـ صلى الله عليه وسلم :

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما انتشرت به الأخبار الصحيحة :

---

(١) من غير سرج .

قال على ـ رضى الله عنه : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ـ ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الخلق سواء . بهذا وصفه ابن أبى هالة ـ رضى الله عنه ـ وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه . قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢) .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كراعا ، ويكافىء عليها ، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر .

---

(١) آل عمران ـ ١٥٩ .   (٢) فصلت ـ ٣٤ .

وقال أنس - رضى الله عنه : ما التقم أحد أذن النبى - صلى الله عليه وسلم - يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد ، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ، ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى أو قيام وكان اكثر الناس تبسما ، وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب .

شفقته ورأفته - ﷺ :

وأما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله - تعالى - بها فى قوله : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] .

روى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى : لا ، ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إليه وزاده شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟

---

(١) التوبة - ١٢٨ .

(٢) الأنبياء - ١٠٧ .

فقال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إنك قلت ما قلت وفى أنفس أصحابى من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك ؟ قال : نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى . أكذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها : خلوا بينى وبين ناقتى ، فإنى أرفق بها منكم ، وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها واستوى عليها . وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه ، دخل النار . وقال ـ عليه الصلاة والسلام : لا يبلغنى أحد منكم عن أصحابى شيئاً ؛ فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر .

وكان يسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتخولنا[1] بالموعظة مخافة السآمة علينا .

وفاؤه وحسن عهده ـ ﷺ :

وأما خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى عن عبد الله بن أبى الخمساء ـ

---

(١) يتعهدنا .

رضى الله عنه - قال بايعت النبى - عليه الصلاة والسلام - ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت ، فإذا هو مكانه . فقال : يا فتى لقد شققت علىَّ ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك .

وكان - ﷺ - إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة - رضى الله عنهما - إنها كانت تحب خديجة .

وكان - عليه الصلاة والسلام - يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه . فقال له أصحابه : نكفيك ..! فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم ، وفى حديث خديجة - رضى الله عنها : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

تواضعه مع علو منصبه - ﷺ :

وأما تواضعه - عليه الصلاة والسلام - على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً واقلهم[1] كبراً ، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً ، وخرج - عليه الصلاة والسلام - مرة على أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا ، فقال : لا تقوموا كما تقوم

---

(١) واحرصهم - ﷺ - بُعْداً عن الكبر .

الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً . وقال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد . وأجلس كما يجلس العبد ، وكان يركب الحمار ويردف خلفه ، ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : (لاتطرونى[1] كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله) وحج ـ عليه الصلاة والسلام ـ على رحل رث ، وعليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم ، فقال : اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة .

هذا :

وقد فتحت عليه الأرض ، وأهدى فى حجه هذا مائة بدنة ، ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ دخلت السوق مع النبى ـ ﷺ ـ فاشترى سراويل ، وقال للوازن : زن وأرجح . ثم قال : فوثب إلى يد رسول الله ـ ﷺ ـ يقبلها ، فجذب يده ، وقال : هذا تفعله الأعاجم بملوكها ؛ ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم ، ثم أخذ السراويل ، فذهبت لأحمله ، قال : صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله .

عدله وامانته ـ ﷺ :

وأما عدله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان . اعترف له

---

(١) الإطراء المدح والثناء .

بذلك محادوه[1] وأعداؤه ، وكان يسمى ـ قبل نبوته ـ (الأمين) وقد قدمنا ذلك فى سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل النبوة . وفى الحديث عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها .

قال أبو العباس المبرد ـ رحمه الله : قسم كسرى أيامه فقال : يوم الريح يصلح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للهو والشرب ، ويوم الشمس للحوائج ، ولكن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ جزأ أنهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزأه بين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى ؛ فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله يوم الفزع الأكبر » .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يأخذ أحداً بذنب أحد ، ولا يصدق أحداً على أحد .

وقاره ـ عليه الصلاة والسلام .

وأما وقاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصمته وتؤدته ومرءوته وحسن هديه فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه ، وكان إذا جلس احتبى بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه محتبيا ، وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة ، يعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول

---

(١) خصومة .

ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير .

وقال ابن أبى هالة ـ رضى الله عنه ـ كان سكوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أربع : على الحلم والحذر والتقدير والتفكر .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها : كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه .

وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ، ويستعملها كثيراً ، ويحض عليهما ، ومن مروءته ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلى ، والأمر بالسواك ، وإتقاء البراجم والرواجب (مواصل الأصابع من ظاهر الكف وباطنها) .

زهده عليه الصلاة والسلام .

وأما زهده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية ، وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا ، وإعراضه عن زهرتها ـ وقد سيقت إليه بحذافيرها ، وترادفت عليه فتوحها ـ أن توفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله ، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها : ما شبع ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله .

وقالت : ما ترك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ، ولقد مات وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب ، أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك .

وقالت عائشة : إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد ناراً ، إن هو إلا التمر والماء .

وعن أنس ـ رضى الله عنه : ما أكل ـ عليه الصلاة والسلام ـ على خِوان[1] ، ولا فى سُكُرَّجَة[2] ؛ ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط .

وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها : كان فراش رسول الله ـ ﷺ ـ الذى ينام عليه أدما حشوه ليف .

وعن حفصة ـ رضى الله عنها ـ كان فراش رسول الله ـ ﷺ ـ فى بيته مِسْحا[3] نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه ليلة بأربع ، فلما أصبح قال : ما فرشتمولى الليلة ؟ فذكرنا له ذلك ، فقال : ردوه بحاله ، فإن وطأته منعتنى الليلة صلاتى .. !

---

(١) الخوان : ما يؤكل عليه من منضدة وشبهها .

(٢) السكرجة : إناء صغير .

(٣) الصوف .

وقالت عائشة : لم يمتلىء جوف النبى ـ ﷺ ـ شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع ، فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به ، وأمسح بيدى على بطنه مما أرى به من الجوع ، وأقول : نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ؟ فيقول : ياعائشة ما لى وللدنيا ، إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذه ، فمضوا على حالهم ، فقدموا على ربهم ، فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم ، فأجدنى أستحيى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غداً دونهم ، وما من شىء أحب إلىّ من اللحاق بإخوانى وأخلائى . قالت : فما أقام بعد إلا أشهراً حتى توفى صلوات الله عليه وسلامه .

خوفه ربه وطاعته لمولاه ـ ﷺ :

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه . ولذلك قال ـ ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت (صَوَّتَتْ) السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصُعُدات[1] تجأرون إلى الله ـ تعالى ـ وددت أنى شجرة تعضد .

---

(١) الطرق .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصلى حتى تَرِمَ قدماه ، فقيل له : أتُكَلَّفُ هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكورا .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها : كان عمل رسول الله ـ ﷺ ـ دِيَمةً[1] ، وأيكم يطيق ما كان يطيق .

وقالت : كان يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم .

وقال عوف بن مالك ـ رضى الله عنه : كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة فاستاك ، ثم توضأ ، ثم قام يصلى ، فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا مر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ، ثم ركع ، فمكث بقدر قيامه يقول : سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ، ثم سَجد وقال : مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ، ثم سورةً سورةً يفعل مثل ذلك .

وقال بعضهم : أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

وفى وصف ابن أبى هالة : كان متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة .

وعن علىٍّ ـ رضى الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن سنته فقال : (المعرفة راس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كَنْزِى ، والحزن رفيقى والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ،

---

(١) دائما .

والرضا غنيمتى ، والعجز فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة ، وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لأجل أمتى وشوقى إلى ربى(١) فجزاه الله من نبى عن أمته خيراً ، ورحم الله عبداً تأمل فى هذه الشمائل الكريمة والخصال الجميلة ، فتمسك بها واتبع رسول الله - ﷺ - ليحوز شفاعته يوم الفزع الأكبر ، ويرضى الله عنه ، فنسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمنك وكرمك ياأرحم الراحمين .

معجزاته عليه الصلاة والسلام

إذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم ، وحميد سيره ، وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله ، لم يمتر فى صحة نبوته ، وصدق دعوته ، وقد كفى هذا غير واحد فى إسلامه والإيمان به : كعبد الله بن سلام - رضى الله عنه - فإنه قال - لما قدم النبى - ﷺ - المدينة : جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

---

(١) ما ورد فى هذا الخبر كان صفات له - عليه الصلاة والسلام - لا نشك فى ذلك أبداً .. فأما الخبر فى ذاته ، فقد وردت به جملة : « والعقل أصل دينى » والمحدثون يرون كل ما ورد من حديث فى العقل ، موضوع .. والله أعلم . ورحم الله شيخنا الخضرى وجزاه خيرا بصدق نيته وحبه لرسول الله - ﷺ - ... الخطيب .

وروى مسلم ـ رضى الله عنه : أن ضماداً ـ رضى الله عنه ـ لما وفد عليه قال له ـ ﷺ : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » .

فقال له ضماد : أعد على كلماته هؤلاء فلقد بلغن قاموس[1] البحر ، هات يدك أبايعك .

ولما بلغ ملك عمان ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ يدعوه إلى الإسلام قال : والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد وينجز الموعود ، وأشهد أنه نبى .

وقال ابن رواحة ـ رضى الله عنه .

لو لم تكن فيه آيات مبينة

لكان منظره ينبيك بالخبر .

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقا لدعوته من المعجزات ما لا يفى به العد فهو أكثر الأنبياء آية وأظهرهم برهانا وسنذكر لك فى هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ، ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وأثبته المحدثون فى صحاحهم ، ونبدأ منها بأظهرها شأنا وأوضحها بيانا وهو القرآن الشريف وإعجازه .

---

(١) ابعد موضع فى البحر .

اعلم أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة .

أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إنجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم . بما لم يخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان . ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب ، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها فى المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ،

ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل ، فيخدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن . ويهيجون الدمن ، ويجرئون الجبان ويصيرون الناقص كاملا ، ويتركون النبيه خاملا .

منهم البدوى ذو اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجوهرى ، والمنزع القوى .

ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة ، والألفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق ، الرقيق الحاشية .

وكلاهما له فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج[1] والمهيع الناهج[2].

لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم . والبلاغة ملك قيادهم . قد حووا فنونها . واستنبطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها ؛ فقالوا فى الخطير والمهين[3]، وتفننوا فى الغث والسمين . وتقاولوا فى القل والكثر ، وتساجلوا[4] فى النظم والنثر ، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا ، وأشهر فى الخطابة رجالا ، وأكثر فى الشعر والسجع ارتجالا ، وأوسع فى الغريب واللغة مقالا ، بلغتهم التى بها يتحاورون ، ومنازعهم التى عنها يتناضلون ، صارخا بها فى كل حين ، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على

---

(١) الفالج : الفائز من السهام ونوع من المرض يصيب الأصابع .

(٢) الطريق الواضح .

(٣) الخطير العظيم والمهين الحقير .

(٤) المساجلة المباراة وهى المسابقة .

رءوس الملأ أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۝فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾[2] ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3] ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[4] فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبجهم أشد التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامهم . ويشتت نظامهم ، ويذم آلهتهم وآباءهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء[5] بالافتراء ، وقولهم : ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ و ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ و ﴿ إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾ و﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[6] والمباهتة والرضا بالدنية ، كقولهم : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ و﴿ فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ و﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾[7] والادعاء مع العجز ، كقولهم : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ﴾[8] وقد قال لهم:﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ فما فعلوا ولا قدروا ومن

---

(١) يونس ـ ٣٨ . (٢) البقرة ـ ٢٣، ٢٤ .
(٣) الإسراء ـ ٨٨ . (٤) هود ـ ١٣.
(٥) الاغتراء بالشىء حبه وشغف الإنسان به .
(٦) انظر : المدثر ٢٤ ـ الفرقان ٤ ، ٥ .
(٧) البقرة ـ ٨٨ ـ فصلت ٥ ، ٢٦ . (٨) الأنفال ـ ٣١ .

تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا لم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين . وأتوا إليه مذعنين ، وأنت إذا تأملت قوله ـ تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾(١) وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾(٢) وقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٣) وقوله : ﴿ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٤) وقوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٥) وأشباهها من الآى بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها ، وكثرة معانيها ، وديباجة عبارتها ، وحسن تأليف حروفها ، وتلاؤم كلمها . وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة ، وفصولا جمة ، وعلوما زواخر ، ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها ، وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها .

ثم هو فى سرد القصص الطوال ، وأخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ، ويذهب ماء

---

(١) البقرة ـ ١٧٩ . (٢) سبأ ـ ٥١ .

(٣) فصلت ـ ٣٤ . (٤) هود ـ ٤٤ .

(٥) العنكبوت ـ ٤٠ .

البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض ، والتئام سرده ، وتناصف وجوهه ، كقصة يوسف على طولها ، ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها ، على كثرة ترددها ، وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ، ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها .

الوجه الثانى من إعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاءا عليه ، ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ؛ بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلى مثله فى جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ، والإعجاز بكل واحد من النوعين : الإيجاز والبلاغة بذاتها ، أو الأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منهما (نوع إعجاز) لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما : إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها .

الوجه الثالث : من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى أخبر ، كقوله ـ تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[1] وقوله عن الروم : ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ[2] ﴾ وقوله ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

(١) الفتح ـ ٢٧ . (٢) الروم ـ ٢، ٣، ٤

(٣) التوبة ـ ٣٣ والصف ـ ٩ .

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(١) وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾(٢) فكان جميع هذا كما أخبر ، فغلبت الروم فارس ، ودخلت الناس فى الدين أفواجاً ، واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم فى وقت من أقصى بلاد (الأندلس) غربا إلى أقاصى (الهند) شرقا ، ومن بلاد (الأناضول) شمالا إلى أقاصى (السودان) جنوبا ، وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣) فكان كذلك إلى الآن والحمد لله ـ تعالى : وقوله : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾(٤) فكان كذلك فى (بدر) والآية نزلت بمكة ، وقوله : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾(٥) فكان كذلك مما اطلع عليه قارىء هذه السيرة ، وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم كقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾(٦) وقوله : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ وقوله : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾(٧) إلى غير ذلك من الآيات البينات .

---

(١) النور ـ ٥٥ .
(٢) النصر ـ ١ ، ٢ .
(٣) الحجر ـ ٩ .
(٤) القمر ٤٥ .
(٥) التوبة ـ ١٤ .
(٦) المجادلة ـ ٨ .
(٧) النساء ـ ٤٦

الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ـ عليه الصلاة والسلام ـ على وجهه ، ويأتى به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه ، وإن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ، ولا جهل حاله أحد منهم ، وكثيراً ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا ؛ فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء ، وبدء الخلق ، وما فى الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ، ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ، ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه بعد أن قرعهم ووبخهم بقوله : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(1) ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحداهم فيه الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(2) ثم ختم عدم إجابتهم بقوله : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(3) فما سمع عن أحد منهم أنه تمنى ذلك

---

(1) آل عمران ـ 93 .

(2) البقرة ـ 94 .

(3) البقرة ـ 95 .

ولو بلسانه مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ، ومثل ذلك ما فعله (أهل نجران) حينما دعاهم للمباهلة فأبوا ، وقد قدمنا ذلك فى فصل وفودهم ، ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التى تلحق قلوب سامعيه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام : إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم .

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه ـ مع تلاوته ـ توليه إقبالا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال ـ تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[1] وقال ـ تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[2] .

ومن وجوه إعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله سبحانه بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3] وقال : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾[4] وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها ، والقرآن إلى وقتنا هذا حجة قاهرة ، ومعارضته ممتنعة.والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان

---

(١) الزمر ـ ٢٣ .

(٢) الحشر ـ ٢١ .

(٣) الحجر ـ ٩ .

(٤) فصلت ـ ٤٢ .

وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة ، والملحد فيهم كثير ، والمعاند للشرع عتيد فما منهم مَنْ أتى بشيء يؤثر فى معارضته ، ولا ألف كلمتين فى مناقته ، ولا قدر فيه على مطعن صحيح ، ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك إلا بزند شحيح ؛ بل المأثور عن كلٍ من رام ذلك إلقاؤه فى العجز بيديه ، والنكوص على عقبيه ، ولنختم لك هذا الباب بحديثه - عليه الصلاة والسلام - فى القرآن قال :

(إن الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً ، وسنة خالية ، ومثلا مضروبا فيه نبؤكم ، وخبر من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه .

هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فَلَج[1] ، ومن حكم به أقسط[2] ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه[3] الله .

هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب .

ومن معجزاته - عليه الصلاة والسلام - (انشقاق القمر) وقد قدمنا حديثه مستوفى .

---

(١) الفلج الظفر والفوز والمعنى ومن خاصم به ظفر وفاز .

(٢) عدل .

(٣) أى قطعه الله .

ومن معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ (نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثيره ببركته) وقد روى هذا الجم الغفير من الصحابة . منهم : أنس وجابر وابن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ

قال أنس : رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبى ـ ﷺ ـ بوضوء ، فوضع فى الإناء يده وأمر الناس أن يتوضئوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا عن آخرهم . فقيل : كم كنتم ؟ قال : زهاء ثلاثمائة .

وقال ابن مسعود : بينما نحن مع النبى ـ ﷺ ـ وليس معنا ماء ، فقال لنا : اطلبوا من معه فضل ماء ، فأتى بماء ، فصبه فى إناء ، ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه .

وقال جابر : عطش الناس (يوم الحديبية) ورسول الله ـ ﷺ ـ بين يديه ركوة ، فتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك .. ! فوضع يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، كأمثال العيون ، قيل : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

ورَوى هذه القصةَ جمعٌ عظيم من الصحابة .

ومثل هذا فى هذه المواطن الحفيلة ،[1] والجموعِ الكثيرة

---

(١) الجامعة .

لا تتَطَرَّقُ التهمة إلى المحدث به ، لأنهم كانوا أسرعَ شيء إلى تكذيبه . لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك : ولأنهم كانوا ممن لايَسْكُتُ على باطل ؛ فهؤلاء قد رَوَوْا هذا وأشاعوه . ونسبوا حضور الجم الغفير له ، ولم ينكر عليهم أحد من الناس ماحدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهَدوه . فصار كتصديق جميعهم لهم .

ومما يشبه هذا تفجيرُ الماء ببركته ، وانبعاثهُ بمسه ، ودَعوتِه كما ورد عن معاذِ بن جبل - رضى الله عنه - فى قصة (غزوة تبوك) وأنهم وردوا (العين) وهى تَلمعُ بشىء من ماء مثل الشراك[1] فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فى شىء ثم غسل - عليه الصلاة والسلام - فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس .

وفي رواية ابن إسحق : فانخرق من الماء ما له حِس[2] كحس الصواعق ، ثم قال : يوشك يامعاذ - إن طالت بك حياة - إن ترى ما هنا قد ملىء جنانا ، وقد قدمنا ذلك فى غزوة تبوك .

وروى عن البراء وسلمة بن الأكوع - رضى الله عنهما - تكثير (عين الحديبية) بدعوته - عليه الصلاة والسلام - .

وروى أبو قتادة : أن الناس شكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العطش فى بعض أسفاره ، فدعا بالميضَأة فجعلها فى ضبْنه (مابين الكشح إلى الإبط) ثم التقم فمها فالله أعلم : أنَفَثَ فيها أم لا، فشرب الناس حتى رَوُوا وملئوا

---

(١) ما يخاط به النعل .

(٢) الحس بالكسر الصوت

كل إناء معهم فخيل لى أنها كما أخذها منى ، وكانوا اثنين وسبعين رجلا .

ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - فى محال مختلفة بحيث لايشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها .

ومن ذلك (تكثير الطعام) ببركته ودعائه - صلى الله عليه وسلم - روى طلحة - رضى الله عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس - رضى الله عنه - تحت إبطه فأمر بها - عليه الصلاة والسلام - ففتتت، وقال فيها ماشاء الله أن يقول .

وروى جابر - رضى الله عنه - : أنه - عليه الصلاة والسلام - أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق[1] وقال جابر : فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا وإن برمتنا[2] لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز . وكان - عليه الصلاة والسلام - قد بصق فى العجين والبرمة ، وبارك[3] .

وروى أبو أيوب - رضى الله عنه - أنه صنع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر طعاما يكفيهما ؛ فأطعم منه - عليه الصلاة والسلام - مائة وثمانين رجلا .

---

(١) انثى المعز .
(٢) الإناء .
(٣) قال اللهم بارك

وروى مثل ذلك كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كعبد الرحمن بن أبى بكر ، وسلمة بن الأكوع ، وأبى هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ (قصة حَنِين الجذع) .

قال جابر بن عبد الله : كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجِذْعِ صوتا كصوت العشار[1] .

وفى رواية أنس : حتى ارتج المسجد لخواره .
وفى رواية سهل ـ رضى الله عنه : وكثر بكاء الناس لما رأوه به .

وفى رواية المطلب ـ رضى الله عنه : وانشق حتى جاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضع يده عليه فسكت .
زاد غيره : فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن هذا بكى لما فقد من الذكر .

وزاد غيره : والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى

---

(١) الناقة مضى عليها عشرة أشهر ، العشار جمع عشراء

يوم القيامة . تحزنا على رسول الله ؛ فأمر به فدفن تحت المِنْبَر .

وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواهُ من الصحابة كثير ، ورواه عنهم من التابعين ضِعفُهم ، وبمن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب ، والله المثبت على الصواب .

ومن معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ (إبراء المرضى وذوى العاهات) .

فقد أصيبت (يوم أحد) عَيْنُ قتادةَ بنِ النعمان ـ رضي الله عنه ـ حتى وقعت على وجنته ، فردها ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكانت أَحسنَ عينيه وأحدَّهما .

وبصق على أثر سهم فى وجه أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ فى يوم (ذى قَرَد) فما ضَرِبَ[1] عليه ولا قاح .

وأصاب ابنَ ملاعِب الأسِنَّة استسقاءٌ[2] فبعث إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأخذ بيده حثوة من الأرض ، فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله ، فأخذها يرى أنه قد هَزِىء به فأتاه بها وهو على شَفَا[3] فشرَبها فشفاه الله .

وتقدم حديث عِلى ورَمَدِه فى غزوة خيبر ، وغير ذلك كثير مما يعجِز قَلَمُنا عن عده ، وَرَوَاهُ ثِقات المسلمين الأعلام .

أما ما منحه الله إياه من إجابة دعواته :

فروى عن أنس ابن مالك قال : قالت أمى ـ أم سُلَيْم : يارسول الله ، خادمك أنس ادْعُ الله له ، فقال : اللهم أَكْثِر

---

(١) اى ما تألم من تهيجه،وقاح دخل فيه القيح .

(٢) مرض فى البطن يجلها تكبر

(٣) اى على شفا الموت

مالة وولده ، وبارك له فيما آتيته . قال أنس : فو الله إن مالى لكثير ، وإن ولدي وَوَلَدَ ولدي ليعادّون اليوم نحو المائة .

ودعا لعبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ بالبركة فكان نصيبَ كل زوجة من زوجاته الأربع من تركته ثمانين ألفاً ، وتصدق مَرَّةً بعير فيها سبعمائة بعير وردَت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها .

ودعا لمعاوية ـ رضى الله عنه : بالتمكين فى الأرض فنال الخلافة .

ودعا لسعد بإجابة الدعوَة فما دعا على أحد إلا استجيب له .

وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يُعز الإسلامَ به ، وقال لأبى قتادة : أفلح وجهك ، اللهم بارك فى شعره وبشره ، فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمسَ عشْرة .

ودعواته ـ عليه الصلاة والسلام ـ المستجابة أكثر من أن تحصى يطلع عليها قارىء سيرتنا هذه .

(أما) ما أطلعه الله عليه من عَلم مالم يكن فمما سارت به الركبان فعن حُذَيْفة ـ رضى الله عنه ـ [قال :] قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَقَاماً فما ترك شيئا يكون فى مقامِه ذلك إلى قيام الساعة إلاَحَدَّثهُ حَفِظه من حفظه ونسيه ، من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء فأعْرفه فَأَذْكُرُه كما يذكر الرجلُ وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذَا رآه عرفه ، وما أدرى : أَنَسِيَ أصحابي أم تَنَاسَوْه ، والله ماترك ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قائد فتنه

إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبية ، واسم قبيلته ، وقد خَرَّجَ أهلُ الصحيح والأئمة ما أَعْلَمَ به أصحابَهُ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه ، وفتح مكةَ ، وبيت المقدس ، واليمن ، والشام ، والعراق . وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من (الحِيرَة) إلى (مكة) لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة سُتُغْزَى وبفتح خيْبرَ على يد علىٍّ فى غد يومه ، وما يفتح الله ـ سبحانه ـ على أمته من الدنيا ، ويؤتون من زهرتها وقِسْمَتِهِم كنوزَ كسرى وقيصر ، وقد قدمنا كثيراً من ذلك فى هذه السيرة ، وقدمنا مافى القرآن من ذلك ، وهذا يغنينا عن الإطالة فى هذا المقام ، فحسبك ماسمعت .

(ومما) ينير بصيرتك ـ أيها القارىء ـ مامن الله به على رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عصمته له من الناس ، وكفايته مَنْ آذاه . قال ـ تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(1) وقال : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(2) وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾(3) وقال : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾(4) ولما نزل : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ صَرَفَ حُجَّابه وقال ـ عليه الصلاة والسلام : انصرفوا ؛ فقد عصمنى الله .

---

(1) المائدة ٦٧

(2) الطور ٤٨

(3) الزمر ٣٦

(4) الحجر ٩٥

وقد قدمنا حديث دُعْثُور وإرادتَهِ قتل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعصمة الله لنبينا ـ عليه الصلاة والسلام . وذكرنا كثيراً مما حصل من أبى جهل لما أراد بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المكايد فكفاه الله شره ، وما مَنَّ اللهُ به عليه (ليلة الهجرة) وحديثَ سُراقة فى الطريق .

وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مكث بين أعداءٍ ألداء بمكة ثلاث عَشرةَ سنة ، وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشْرَ سنين فما تمكن أحد من إيصال أذى إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه .

والحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ونسأله أن يوفق قارِئِى هذه السيرة إلى اتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى أصحابه وأنصاره ـ رضوان الله عليهم .

تمت السيرة الزكية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية .

الفهــرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
مقدمة المؤلف	٥
منهج التأليف	٧
النسب الشريف	٨
قبائل قريش	١٠
زواج عبدالله بآمنة وحملها	١٢
تاريخ الميلاد على التحقيق	١٢
الرضاع	١٣
حادثة شق الصدر	١٤
وفاة آمنة، وكفالة عبدالمطلب، ووفاته وكفالة أبي طالب	١٥
السفر إلى الشام	١٥
حرب الفجار	١٦
حلف الفضول	١٩
رحلته إلى الشام المرة الثانية	١٩
زواجه خديجة	٢٠
بناء البيت	٢١
معيشته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة	٢٣
سيرته فى قومه قبل البعثة	٢٥
ما أكرمه الله به قبل النبوة	٢٧
تبشير التوراة به	٢٩
تبشير الإنجيل	٣٣
حركة الإنكار قبل البعثة	٣٣
بدء الوحى	٣٦

الموضوع	الصفحة
فترة الوحى	٣٨
عودة الوحى	٣٩
الدعوة سرا	٤٠
مسلمون على يدى أبى بكر	٤٢
السابقون إلى الإسلام	٤٣
الجهر بالتبليغ	٤٨
التفاوض مع أبى طالب	٥٠
الإيذاء	٥٢
إسلام حمزة	٦٠
المُؤْذَوْن فى سبيل الله	٦٠
التفاوض المباشر مع رسول الله ـ ﷺ ـ	٦٥
محاولات أخرى	٦٨
مؤامرات للتعجيز	٦٩
التحول إلى القوة	٧١
هاجرة الحبشة الأولى	٧٢
إسلام عمر	٧٣
رجوع مهاجرى الحبشة	٧٤
كتابة الصحيفة	٧٧
هجرة الحبشة الثانية	٧٨
نقض الصحيفة	٧٩
وفود نجران	٨٠
وفاة خديجة ـ رضى الله عنها ـ	٨١
زواج سوْدَة ـ رضى الله عنها ـ	٨٢
زواج عائشة ـ رضى الله عنها ـ	٨٢
هجرة الطائف	٨٤

الموضوع	الصفحة
الاحتماء بالمطعم بن عدى	٨٦
وفد دوس	٨٧
الإسراء والمعراج	٨٧
العرض على القبائل	٩١
بدء إسلام الأنصار	٩٣
العقبة الأولى	٩٤
العقبة الثانية	٩٦
هجرة المسلمين إلى المدينة	٩٨
دار الندوة	٩٩
هجرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ	١٠٧
النزول بقباء	١١٠
هجرة الأنبياء	١١١
أعمال مكة	١١٢
مسجد قباء	١١٣
الوصول إلى المدينة	١١٤
أول جمعة	١١٤
أول خطبة جمعة	١١٥
النزول على أبى أيوب	١١٥
نزول المهاجرين	١١٦
أُخُوَّةُ الإسلام	١١٧
هجرة أهل البيت	١١٨
حُمَّى المدينة	١١٨
منع المستضعفين من الهجرة	١١٩
السنة الأولى ـ بناء المسجد	١١٩

الموضوع	الصفحة
بدء الأذان	١٢٠
يهود المدينة	١٢٣
المنافقون	١٢٦
معاهدة اليهود	١٢٧
مشروعية القتال	١٢٧
بدء القتال	١٣٠
سَرِيّة	١٣٠
وفيات	١٣١
السنة الثانية غزوة ودان	١٣٣
غزوة بواط	١٣٣
غزوة العشيرة	١٣٤
غزوة بدر الأولى	١٣٤
سرية	١٣٥
تحويل القبلة	١٣٦
صوم رمضان	١٣٧
صدقة الفطر	١٣٧
زكاة المال	١٣٨
غزوة بدر الكبرى	١٣٩
أسرى بدر	١٤٩
إسهام لمن لم يحضر	١٥١
إسهام للشهداء	١٥١
أسرى بدر	١٥٢
الفداء	١٥٣
حوادث بعض الأسرى	١٥٤

الموضوع	الصفحة
العتاب فى الفداء	١٥٩
غزوة قينقاع	١٦٠
جلاء قينقاع	١٦٢
غزوة السويق	١٦٣
صلاة العيد	١٦٣
زواج على بفاطمة عليهما السلام	١٦٤
السنة الثالثة	١٦٤
قتل كعب بن الأشرف	١٦٥
غزوة غطفان	١٦٦
غزوة بحران	١٦٧
سرية	١٦٧
غزوة أحد	١٦٩
الثابتون يوم أحد	١٧٥
غزوة حمراء الأسد	١٨٠
حوادث	١٨١
السنة الرابعة	١٨٣
سرية	١٨٤
سرية	١٨٥
غزوة بنى النضير	١٨٦
غزوة ذات الرقاع	١٨٨
غزوة بدر الآخرة	١٨٩
حوادث	١٩٠
السنة الخامسة غزوة دومة الجندل	١٩١
غزوة بنى المصطلق	١٩٥

الموضوع	الصفحة
حديث الإفك	١٩٨
غزوة الخندق	٢٠٣
الخدعة فى الحرب	٢٠٧
هزيمة الأحزاب	٢٠٩
غزوة بنى قريظة	٢١٠
وفاة سعد ـ رضى الله عنه	٢١٣
أبو لبابة ـ رضى الله عنه	٢١٣
زواج زينب بنت جحش	٢١٤
الحجاب	٢١٧
النساء أول الإسلام	٢١٩
فرض الحج	٢٢٠
السنة السادسة (سرية)	٢٢١
غزوة بنى لحيان	٢٢٢
غزوة الغابة	٢٢٣
(سرية)	٢٢٤
(سرية)	٢٢٥
(سرية)	٢٢٥
(سرية)	٢٢٦
(سرية)	٢٢٧
(سرية)	٢٢٧
(سرية)	٢٢٨
(سرية)	٢٢٨
قتل أبى رافع	٢٢٩
(سرية)	٢٣١

الموضوع	الصفحة
قصة عُكْل وعُرَيْنة	٢٣١
(سرية)	٢٣٢
غزوة الحديبية	٢٣٣
بيعة الرضوان	٢٣٧
صلح الحديبية	٢٣٧
ابو جندل	٢٣٩
أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط	٢٤٠
ابو بصير عتبة بن أسيد الثقفى وعصبته	٢٤١
مكاتبة الملوك	٢٤٢
كتاب قيصر	٢٤٢
حديث أبى سفيان	٢٤٣
كتاب أمير بصرى	٢٤٦
كتاب الحارث بن أبى شمر	٢٤٧
كتاب المقوقس	٢٤٧
كتاب النجاشى	٢٤٩
كتاب كسرى	٢٥٠
كتاب المنذر بن ساوى	٢٥٠
كتاب ملكى عمان	٢٥٢
كتاب هوذة بن على	٢٥٣
السنة السابعة غزوة خيبر	٢٥٥
الشاة المسمومة	٢٥٨
زواج صفية	٢٥٨
النهى عن نكاح المتعة	٢٥٩
رجوع مهاجرى الحبشة	٢٥٩

الموضوع	الصفحة
فتح فدك	٢٥٩
صلح تيماء	٢٦٠
فتح وادى القرى	٢٦٠
إسلام خالد ورفيقه	٢٦١
(سرية)	٢٦١
(سرية)	٢٦٢
(سرية)	٢٦٣
عمرة القضاء	٢٦٣
زواج ميمونة	٢٦٥
السنة الثامنة (سرية)	٢٦٥
(سرية)	٢٦٦
(سرية)	٢٦٦
غزوة مؤته	٢٦٧
(سرية)	٢٧٠
(سرية)	٢٧١
غزوة الفتح الأعظم	٢٧٢
العفو عند المقدرة	٢٧٩
وفود كعب بن زهير	٢٨٧
بيعة النساء	٢٨٨
هدم العزى	٢٨٨
هدم سواع	٢٨٩
هدم مناة	٢٨٩
غزوة حنين	٢٨٩
سرية	٢٩٣

الموضوع	الصفحة
غزوة الطائف	٢٩٥
تقسيم السبى	٢٩٧
وفود هوازن	٣٠٠
عمرة الجعرانة	٣٠٢
نتائج غزوة حنين	٣٠٢
(سرية)	٣٠٣
ووفود صداء	٣٠٣
(سرية)	٣٠٤
وفود تميم	٣٠٤
(سرية)	٣٠٥
(سرية)	٣٠٦
السنة التاسعة	
(سرية)	٣٠٧
وفود عدى بن حاتم	٣٠٨
غزوة تبوك	٣٠٩
وفود صاحب أيلة	٣١٣
كتاب صاحب أيلة	٣١٣
كتاب أهل أذرح وجرباء	٣١٤
مسجد الضرار	٣١٤
حديث الثلاثة الذين خلفوا	٣١٥
وفود ثقيف	٣١٦
كتاب أهل الطائف	٣١٧
هدم اللات	٣١٨
حج أبى بكر	٣١٩
وفاة ابن أبى	٣١٩

الموضوع	الصفحة

وفاة أم كلثوم	٣٢٠
السنة العاشرة (سرية)	٣٢٠
(سرية)	٣٢١
بعث العمال على اليمن	٣٢١
حجة الوداع	٣٢٢
خطبة الوداع	٣٢٣
الوفود	٣٢٧
وفود نجران	٣٢٧
وفود ضمام بن ثعلبة	٣٢٨
وفود عبد القيس	٣٢٩
وفود بنى حنيفة	٣٣١
وفود طيىء	٣٣٢
وفود كندة	٣٣٢
وفود أزد شنوءة	٣٣٣
وفود رسول ملوك حمير	٣٣٣
كتاب ملوك حمير	٣٣٤
وفود همدان	٣٣٥
وفود تجيب	٣٣٦
وفود ثعلبة	٣٣٧
وفود بنى سعد بن هزيم	٣٣٧
وفود بنى فزارة	٣٣٨
وفود بنى أسد	٣٣٩
وفود بنى عذرة	٣٤٠
وفود بنى محارب	٣٤٠
وفود غسان	٣٤٠

الموضوع	الصفحة
وفاة إبراهيم ابن النبى عليه الصلاة والسلام	٣٤١
السنة الحادية عشرة	٣٤١
(مرض الرسول صلى الله عليه وسلم)	٣٤٢
صلاة أبى بكر بالناس	٣٤٣
وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم	٣٤٥
شمائله عليه الصلاة والسلام	٣٤٧
نظافته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٥٠
فصاحته وبلاغته ـ عليه الصلاة والسلام	٣٥١
فضله ـ صلى الله عليه وسلم	٣٥٥
حسن خلقه ـ صلى الله عليه وسلم	٣٥٨
حلمه وعفوه ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٠
جوده وسماحته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٢
شجاعته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٣
حياؤه ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٤
حسن عشرته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٤
شفقته ورأفته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٦
وفاؤه وحسن عهده ـ صلى الله عليه وسلم	٣٦٧
تواضعه مع علو منصبه	٣٦٨
وقاره ـ عليه الصلاة والسلام	٣٧٠
زهده ـ عليه الصلاة والسلام	٣٧١
خوف ربه وطاعته ـ صلى الله عليه وسلم	٣٧٣
معجزاته عليه الصلاة والسلام	٣٧٥
معجزة القرآن الكريم	٣٧٧
الفهرس	٣٩٤

AL AZHAR



مطابع